٣٦٠

الوعي

جامعية ـ فكرية ـ ثقافية

محرم ١٤٣٨هـ - تشرين الأول ٢٠١٦م

- نظرةٌ عقليَّةٌ وشرعيَّةٌ في وُجوهِ بُطلانِ العقيدةِ النصرانية
- الاقتصاد العالمي... على حافة الانهيار!!. (٢)
- إشكاليةُ هجرةِ المسلمين إلى الغرب: دوافعُها، خطورتها، تداعياتها (٣)
- كَمَا تَتَفَاضَلُ الأَشْجَارُ بِالأَثْمَارِ، كَذَلِكَ يتَفَاضَلُ النَّاسُ بِالْعُقُولِ
- إعلان انهيار الحضارة الغربية رهن بإعلان النموذج الإسلامي بديلًا

الخداع الأميركي في خطة ضرب حلب

محتويات العدد

السنة الواحدة والثلاثين العدد ٣٦٠ محرم ١٤٣٨هـ - ت١ ٢٠١٦م

صفحة

- كلمة العدد: الخداع الأميركي في خطة ضرب حلب ٣
- نظرةٌ عقليَّةٌ وشرعيَّةٌ في وُجوهِ بُطلانِ العقيدةِ النصرانية ٩

بقلم: أبو حنيفة - الأرض المباركة فلسطين

- الاقتصاد العالمي... على حافة الانهيار!!. (٢) ٢٠

بقلم: حمد طبيب-بيت المقدس

- إشكاليةُ هجرةِ المسلمين إلى الغرب:

(دوافعُها، خطورتها، تداعياتها)(٣) ٢٨

بقلم: صالح عبد الرحيم - الجزائر

- أخبار المسلمين في العالم ٣٦
- مع القرآن الكريم: ﴿... وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ...﴾ ٤١
- رياض الجنة ٤٨
- حدائق ذات بهجة: كَمَا تَتَفَاضَلُ الأَشْجَارُ بِالْأَثْمَارِ، كَذَلِكَ يَتَفَاضَلُ النَّاسُ بِالْعُقُولِ ٤٩
- إعلان انهيار الحضارة الغربية رهن بإعلان النموذج الإسلامي بديلًا ٥١
- كاتب أميركي: لا بد من تقسيم سوريا والإصرار على وحدتها يعني الإبادة ٥٢

إلى السادة الكتاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في "الوعي" دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل "الوعي" إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ "الوعي" حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.

للمراسلات subjects@al-waie.org

كلمة الوعي (صفحة ٣)

الخداع الأميركي في خطة ضرب حلب

مجلة الوعي تصدر كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان بترخيص رقم "١٦٦" صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

ثمن النسخة

لبنان: ١٠٠٠ل.ل	اليمن: ٣٠ريال	تركيا: ١$ أميركي	باكستان: ١$ أميركي
أستراليا: ٢,٥$	أميركا: ٢,٥$	كندا: ٢,٥$	المانيا: ٢,٥ يورو
السويد: ١٥كرون	بلجيكا: ١يورو	بريطانيا: ١£	سويسرا: ٢ فرنك
النمسا: ١يورو	الدانمرك: ١٥كرون		

جامعية ـ فكرية ـ ثقافية

الوعي

al-waie.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الخداع الأميركي في خطة ضرب حلب

ما تزال المؤامرة الدولية على المسلمين في سوريا تديرها أميركا، وهي بعد فشلها المتكرر في القضاء على الثورة أو حرفها، اتفقت مع روسيا على استعمال أقصى ما تستطيعه من إجرام لتضع المسلمين هناك أمام خيار واحد وهو الاستسلام، وفعلًا دخلت روسيا الحرب وراحت تمارس جرائم قصف لا تبقي بشرًا ولا حجرًا ولا بشرًا، والهدف أن تحقق هذه الجرائم ما فشل فيه كل من النظام السوري والنظام الإيراني من تحقيقه...

ولقد ظهر التنسيق الأميركي الروسي بشكل جلي، وبالرغم من كل محاولات خداع الرأي العام التي راحت أميركا تمارسها بإظهارها أنها ضد هذا التوحش الروسي، إلا أنها كانت تستغله للضغط على الطرف الآخر المعادي للنظام السوري للمطالبة بالقبول بمفاوضة الأسد، والمطالبة بانضمام المعارضة إلى النظام لمحاربة الإرهاب، والمتابع للوقف الأميركي يرى بأنه مليء بالخداع، وقبل إعطاء نموذج من هذا الخداع، لا بد من التذكير بحقيقة الموقف الأميركي في عهد أوباما مما يحدث في سوريا. وحقيقة التحول الذي طرأ على هذه السياسة من بعد فشل بوش الابن في سياسة التفرد في حكم العالم، والتي أعلن أوباما إيقافها بنفسه رسميًا. ونحن عندما نعود إلى الوراء هذه المسافة؛ فإنما لأن الأحداث السياسية لا تقرأ منفصلة عن بعضها، وللتأكيد على أن ما تشهده المنطقة من تآمر، وما يلقاه المسلمون من إجرام، إنما يحدث من ضمن الصراع الدولي على المنطقة، والصراع الحضاري بين أهل المنطقة كمسلمين ودول الغرب الرأسمالية.

إن سياسة بوش الابن مع المحافظين الجدد قامت على التفرد في حكم العالم، فسار بحسب مخطط والده في اتخاذ الإسلام السياسي العدو الاستراتيجي الأول في العالم، ومحاربته تحت ستار «محاربة الإرهاب». وقام باحتلال كل من أفغانستان والعراق، وأراد أن يفرض مشروعه للشرق الأوسط الجديد ليكون منطقة نفوذ لأميركا وحدها دون سواها، وكبديل عن سايكس بيكو. ومن أجل تحقيق ذلك أو فرضه، استعمل بوش ما سمي بالقوة القاسية، ومارس أبشع أنواع الإجرام والإرهاب بحق المسلمين. وكان قتلهم عنده أهون مما يحدث في أفلامهم الهوليودية، وكان تعذيبهم مما تأبى وحوش الغاب عن فعله، حتى أصبح تاريخًا لا ينسى عند المسلمين.

ولكـن ومـع كل الإجـرام المفـرط الـذي مارسـه الأميركيـون في عهـد بـوش الابـن، والـذي لم يجعلـوا لـه حـدودًا، ، فإنهم تكبدوا خسـائر بشريـة ومادية هائلة، وتزعزع مركـز أميركا الدولي، ووقعـت أمـيركا في أزمـة مالية خانقة كادت تعصف بالنظام الرأسـمالي برمتـه، فانقلبت النتائج رأسًـا عـلى عقـب، وحـدث مـا لم يكـن متوقعًـا؛ فقـد تهـدد النظـام الرأسـمالي وتراجـع مبـدؤه عالميًـا؛ مـن هنـا كان وصـول أوبامـا إلى الحكـم نتيجـة طبيعيـة لفشـل بـوش في سياسـة التفرد في حكـم العالم.

ولمـا جـاء أوبامـا إلى الحكـم اضطر إلى تغيير أسـلوب الصراع، من غير أي تغيـير في حقيقته؛ فاسـتعمل أسـلوب القـوة الناعمـة بـدل القـوة القاسـية التي فشـل بها بـوش الابن، مسـتعملًا المكـر والخديعـة والمواجهة غير المبـاشرة، واعتمد على اسـتخباراته في ضرب الأنظمة أو تغييرها أو تهديدهـا، وزرع الفـتن والاقتتـال بـين الشـعوب، وشراء الذمـم، والاغتيـالات... واسـتخدم عمـلاءه مـن حـكام المنطقـة كأدوات لـه في الـصراع بعدمـا سـحب قواتـه مـن الأرض... فكيف تعامـل أوبامـا مـع ثـورات المسـلمين عـلى حكامهـم، بناء على سياسـة الخـداع هـذه، وبالذات الثورة في سـوريا.

لقـد اعتمـد أوبامـا سياسـة إدارة الصراع في سـوريا مـن وراء حجاب مدعيًا أن عميله بشـار أسـد، والـذي كان يقتـل بأمـر منـه، ليـس صالحًـا لحكـم شـعبه، وأعلن أنـه ضد ما يسـفك من دمـاء في سـوريا، وراح يقـدم المسـاعدات الإنسـانية، وترأسـت بـلاده مجموعـة دول «أصدقـاء سـوريا»، وراح يرعـى المعارضـة السياسـية التي صنعهـا في الخارج لتكون هـي الطرف المفاوض للنظـام العميـل لـه عـلى مسـتقبل سـوريا عـبر تحقيـق تـوازن بـين طـرفي الـصراع الممسـوكين منهـا للوصـول إلى اتفـاق حـل أمـيركي... وفي الوقت نفسـه، عمل،كذلـك مـن وراء حجاب، على مواجهـة الثـورة في سـوريا بإجـرام لا يقـل عـن إجـرام سـلفه بوش الابـن في كل من أفغانسـتان والعـراق، ولكـن ليـس بيـده مبـاشرة بـل بيـد الحـكام العمـلاء لـه، وأولهـم النظـام السـوري نفسـه، ومعـه النظـام الإيـراني وتوابعـه من النظـام العراقـي والميليشـيات المذهبيـة التابعة له في العـراق وفي لبنـان. ولمـا فشـل كل ذلـك اتفقـت أمـيركا هـذه مـع روسـيا اتفـاق مصالح على القيـام بهـذه المهمـة الإجرامية القـذرة، والقضـاء عـلى هـذه الثـورة التـي يـزداد إصرار أهلهـا عـلى التغيـير، والتغيـير الجـذري، وبعـد أن أصبـح هـذان الحليفـان العميلان،النظـام السـوري والنظـام الإيـراني، في وضـع ضعيـف عسـكريًا ويحتـاج إلى تدخل أقـوى... وهـذا الاتفاق يقضي بتعويـم موقـف النظـام السـوري الـذي كاد أن يتهـاوى، والقضـاء عسـكريًا عـلى الفصائل التي

لا توافق على مقررات مؤتمر جنيف الأميركية تحت حجة أنها إرهابية، ثم من بعد ذلك تقوم روسيا بإيجاد حالة من التوازن العسكري الشكلي بين طرفي الصراع في سوريا، الأسد والمعارضة الخارجية، على أن تكون الفصائل المسلحة المعتدلة أي الموافقة على مشروع الحل الأميركي ممثلة في وفد المعارضة بنسبة الثلث.

وبعد هذ العرض، نأتي إلى نموذج من نماذج السياسة الأميركية المخادعة التي تنتهجها أميركا في إدارة اللعبة الاستعمارية القذرة تجاه الوضع في سوريا.

إن الخطة التي تعمل أميركا الآن على تنفيذها بالقوة وبالخداع على الأرض، تقوم على العمل العسكري للقضاء على الفصائل المسلحة التي تعارض المشروع الأميركي للحل تحت عنوان محاربة الإرهاب (بالمنظور الأميركي)، وهذا العمل يتستر بهدف القضاء على (داعش والنصرة)، أما في الحقيقة فإنه يهدف إلى محاربة أصحاب مشروع الخلافة، فالمسألة هي أكبر مما يدعون، فأميركا تصنف الفصائل التي ترفض مشروعها للحل عبر مؤتمر جنيف بأنها إرهابية، كما صرح بذلك كيري أثناء انعقاد مؤتمر فيينا...

أما خطوات السير في هذه الخطة فهي:

- العمل على تصنيف الفصائل المسلحة بين معتدلة وإرهابية متطرفة.. وفي هذا المجال دعت السعودية بأمر من أميركا إلى مؤتمر الرياض الذي انعقد في الشهر الأخير من عام ٢٠١٥م، وحضرته الفصائل المسلحة التي تتلقى الدعم من السعودية وتركيا وقطر. وقد تم فيه الاتفاق على تشكيل هيئة عليا للمفاوضات من ٣٢ عضوًا، بينهم عشرة للفصائل وتسعة للائتلاف وخمسة لهيئة التنسيق وثمانية مستقلين، وأبدى بيان الرياض استعداد المشاركين للتفاوض مع ممثلين عن النظام السوري استنادًا لبيان جنيف١ وبرعاية الأمم المتحدة وضمانتها.

- العمل على حصر وجود الفصائل التي تعتبر إرهابية في نظرهم في مناطق معينة؛ ومن ثم استعمال أقسى أنواع القصف الجوي الروسي على مناطق تواجدهم للضغط على المسلمين هناك لإخلاء هذه المناطق، أو ضغط المسلمين فيها على تلك الفصائل للخروج من مناطقهم إلى مناطق أخرى وحصرهم فيها كإدلب وذلك لتتم إبادتهم هناك عن طريق القصف الجوي ذي الدمار الشامل. ومثل هذا يحدث الآن في حلب. وهناك هدف غير معلن تريد أميركا تحقيقه من وراء ذلك، وهي خسارة هذه الفصائل للحاضنة الشعبية،

وهـذا الأمـر عنـد أمـيركا هـو في غايـة الأهمية لفـرض حلها.

- تحشـيد قـوى عسـكرية مختلفـة في مناطق مختلفـة للهجوم البري عـلى المناطق التي يوجـد فيهـا مـن يعتـبرون إرهابيين بنظـر أميركا، كقـوات النظام السـوري من أماكن سـيطرته، والقـوات الكرديـة مـن المناطـق التي يسـيطرون عليها، وقـوات الجيش الحر مـن الأماكن التي يسـيطرون عليهـا. وهـذا الهـدف يحقـق لأمـيركا وجـود حالة مـن الاقتتال بـين الفصائـل تدفع المسـلمين في سـوريا إلى الانحيـاز فيـما بعـد إلى مـن سـيكون الجيش الوطنـي الجديـد. وبالتالي المشروع السـياسي الجديد.

- أمـا الموقـف الـتركي، فكله قائم عـلى الخداع والادعـاء، ومنه ماقام بـه أردوغان مؤخرًا مـن سـحب الفصائـل المسـلحة التي يدعمهـا من جبهة حلـب لتخوض معاركه في الشـمال ضد أخصامـه مـن الفصائـل الكرديـة، وهـذا مـا أدى إلى إضعاف جبهـة حلب أمام الهجـوم الروسي. وبـدا أن ذلـك يتـم مـن ضمـن تفاهمات روسـية تركيـة. وينسـجم تمامًا مـع التنسـيق الروسي الأمـيركي. والآن نـراه يختلـق أسـبابًا واهية لتوتير الأجواء السياسـية بينه وبـين النظام في العراق ليكـون ذلـك ذريعـة لـه لـكي يبقـى بعيدًا عما يجـري في حلب. هـذا ولا يخفى عـلى أحد تبدل الموقـف الـتركي مـن بقـاء الأسـد في الحكم، وتصريحـه أن حلب خـط أحمر تركي، وهـا هو الآن يخذلها ويسـلمها إلى أعداء لمسـلمين.

- موقـف الـدول الإقليميـة الداعمـة التي تدعم الفصائل المسـلحة إنمـا تدعمها لمصلحة تلـك الـدول لا لمصلحـة تلـك الفصائـل، وهذه أعطـت الفصائل المال والسـلاح عـلى شروطها في التـزام الخطـوط الحمـر التـي تلزمهـا بهـا؛ لذلـك كانـت هـذه الـدول الداعمة هـي الأخطر في القضـاء عـى الثـورة في سـوريا؛ لأن هـذه الـدول هـي نفسـها تلتـزم بأوامـر أسـيادها، ولا تملك حريـة القـرار، وهـذا مـا ظهـر واضحًـا مـن تصريـح وزيـر الخارجيـة القطـري محمـد بـن عبد الرحمـن آل ثـاني في ٢٠١٦/١٠/٠٥م عندمـا قال إن مجموعة أصدقاء سـوريا «أوقفت وخفضت للحـد الأدنى» تزويـد المعارضـة بالأسـلحة منـذ فبراير شـباط. وطبعًـا كان هذا بقـرار أميركي.

- التنسـيق الأمـيركي الـروسي الـذي بلـغ مـدًى بعيـدًا في التنسـيق، والـذي بـدأ في اليـوم التـالي لاجتـماع أوبامـا مـع بوتـين في واشـنطن في ٢٠١٥/٩/٢٩م ، والموقـف الأمـيركي قائـم عـلى خـداع أهـل سـوريا منـذ أول قيـام ثورتهـم عـلى السـفاح بشـار، وكانـوا هـم وراء هـذا التآمـر الـدولي عليهـم، وأدنى تفكـير يوصـل إلى أنـه لا يمكـن أن يقـود هـذه المؤامـرة العالميـة إلا دولة تملـك نفـوذًا دوليًـا واسـعًا وإمكانـات ضخمة. وفي موضـوع حصار حلب والقضـاء عى الفصائل

التـي تعـادي مـشروع حلهـا، لنرصد معًـا هذا الموقـف الأميركي المخـادع: فقد أعلنـت الخارجية الأميركيـة أعلنـت في ٢٠١٦/١٠/٠٣م تعليـق قنـوات الاتصـال مع روسـيا. ولكـن وزارة الخارجية الروسـية ذكـرت في ٢٠١٦/١٠/٠٥م في بيـان لهـا: «أجـرى وزيـرا الخارجيـة الـروسي سـيرغي لافـروف والأمـيركي جـون كـيري مكالمـة هاتفيـة جديـدة لبحـث الوضـع في سـوريا، وذلـك رغم قـرار واشـنطن تعليـق قنـوات التعـاون مع موسـكو حول سـوريا». وذكـرت أن المحادثة جاءت بطلـب مـن الجانـب الأميركي.

- ويـأتي موقـف الموفـد الدولي الثعلـب سـتيفان دي ميسـتورا في ٢٠١٦/١٠/٠٦م ليكون جـزءًا مـن هـذه الخطـة الجهنميـة في القضـاء على الفصائـل المخلصـة؛ فيصرح مخوفًـا ومهددًا ومحرضًـا أهـل حلـب عـلى الفصائـل التـي يعتبرهـا إرهابيـة قائـلًا: «خلال شـهرين أو شـهرين ونصـف كحـد أقـصى قـد يلحـق الدمـار التـام بالأحيـاء الشرقيـة لحلـب... نتحدث عـن المدينة القديمـة عـلى وجـه الخصـوص» وتابـع أن وجـود مقاتلـين مـن جبهـة فتـح الشـام في المدينـة يشـكل مـبررًا لموسـكو ودمشـق لمواصلة الهجـوم على المدينـة. وتوجه إلى هـؤلاء المقاتلين: «إذا قررتـم الخـروج بكرامـة ومـع أسـلحتكم إلى إدلـب أو أي مـكان تريـدون الذهـاب إليـه، فأنـا شـخصيًا مسـتعد ومسـتعد بدنيًـا لمرافقتكـم». ومثل هذا التصريـح لا يقل خطـورة عما ترتكبه روسـيا نفسـها مـن إجرام. ويذكـر أن ميخائيـل بوغدانوف، نائـب وزير الخارجيـة الروسي، قال إن موسـكو تؤيـد مبـادرة دي ميسـتورا هـذه، وتعتقـد أن الوقـت قـد حـان للإقـدام على هذه الخطوة.

- وكذلـك يـأتي الموقف الرسـمي للأمـم المتحدة، إحـدى أهم أدوات أميركا الاسـتعمارية، ليكشـف كذلـك أن لهـا دورًا قـذرًا في هـذه الخطـة الجهنميـة، فقـد جـاء في تقرير عـن الوضع في حلـب صـدر في ٢٠١٦/١٠/٠٥م: أن مكتـب الأمـم المتحدة لتنسـيق الشـؤون الإنسـانية أعلن أن «تقييـمًا أجـري في شرق حلـب توصـل إلى أن ٥٠٪ من السـكان عبَّروا عـن رغبتهم في الرحيل إذا أمكـن لهـم ذلـك». وأشـار التقريـر كذلك إلى المشـكلات النفسـية التي يعاني منها السـكان. وورد في تفاصيـل هـذا التقرير المشـبوه: إن نصف السـوريين المحاصريـن في شرق حلب والمقدر عددهـم بنحـو ٢٧٥ ألفًـا يرغبـون في الرحيل مـع قرب نفاد المـوارد الغذائية واضطرار السـكان لحـرق البلاسـتيك للحصـول عـلى وقـود. وأضافـت أن أسـعار الأغذيـة ترتفع مع قلـة المعروض منهـا. وقالـت إن تقاريـر وردت أشـارت إلى أن الأمهـات بـدأن في ربط بطونهـن وشرب كميات كبـيرة مـن الميـاه لتقليل شـعورهن بالجوع وجعـل الأولوية لإطعـام أطفالهن...

هـذه هـي سياسـة أمـيركا في سـوريا، تخلت فيهـا عن أي معنـى من معاني الشرف بشـكل صريـح، وكانـت عـرَّاب كل الإجـرام الذي يحدث لهـا، وهذا الواقع يذكرنا بتصريح لأوباما سـيئ الذكـر منـذ أوائـل اسـتلامه للحكم في جامعة القاهـرة في ٢٠٠٩م عندما قال: «إننـا نملك القدرة عـلى تشـكيل العـالم الـذي نسـعى مـن أجلـه، ولكـن يتطلـب ذلـك منـا أن نتحـلى بالشـجاعة اللازمـة لاسـتحداث هـذه البدايـة الجديـدة». هـذه هـي البدايـة الجديـدة أي المختلفـة في أسـلوبها عـما كان يقـوم بـه سـلفه بوش ولكن المشـابهة لهـا في نظرتها للاسـتعمار، وفي حفاظها عـلى مركـز الدولـة الأولى في العـالم، وفي ارتكابهـا أبشـع الجرائم لتحقيـق مصالحها.

إن المسـلمين اليـوم، في سـوريا وفي خـارج سـوريا، هـم أمـة واحـدة مـن دون النـاس، وهم يعـادَون مـن هـذا المنظـور، ويجـب عليهـم أن يعـادوا مـن المنظـور نفسـه. وعدوهـم قسـم بلادهـم لـكي لا يتمكنـوا من مواجهته، وسـلب خيراتهم ومقدرات بلادهم لكي لا يسـتطيعوا أن يمتلكـوا القـوة ولا القـدرة التـي تضـع حـدًا لاسـتعمارهم، ومكـن من الحكـم حكامًـا نواطير له وجزاريـن بحـق شـعوبهم لـكي يمنعوا أي تحـرك مخلص من تغيـير أوضاعهم... وهـو الآن ينظر إلى المنطقـة نظـرة واحـدة، ويعمـل عـلى أن يصوغهـا مـن جديـد منطلقًا مـن منطلـق تفتيتها وشرذمتهـا عـن طريـق بعـث الحالة الشـعوبية والطائفيـة والعرقيـة... للقضاء عـلى فكرة الأمة الواحـدة، وتخطيطًـا لعـدم إمكانيـة توحدهـا... ومثل هـذا التخطيط الجهنمي يجـب أن يملك المسـلمون مخططًـا عـلى مسـتواه لمواجهته، وهـذا لا يكون شرعًا وعقـلًا إلا بتبني الأمة لمشروع الخلافـة الراشـدة التـي وحدهـا يمكـن أن تجمـع المسـلمين مـن جديـد ليقومـوا، ليـس بطـرد الاحتـلال والنفـوذ الأجنبـي فحسـب، بل وبحمل الإسـلام إلى شـعوب تلـك الدول الاسـتعمارية التواقـة إلى مبـدأ الإسـلام للتخلـص مـما هـي فيـه مـن خـواء فكـري، وفقـدان قيمـي، وتفـكك أسري، وصراع لا يهـدأ عـلى المصالـح.

فوعـد اللـه بالنـصر والتمكـين لهـذه الأمة ينتظـر أن تقوم هـذه الأمة بحق ربهـا عليها من الاجتـماع عـلى أمـره، واحتضان القائمـين عليه بحق وصدق. قـال تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ ❑

بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم

نظرةٌ عقليَّةٌ وشرعيَّةٌ في وُجوهِ بُطلانِ العقيدةِ النصرانية

أبو حنيفة - فلسطين

يمكنُ وصفُ العقيدةِ الصحيحة بأنَّها عقيدةٌ عقليةٌ أو عقيدةٌ مبنيَّةٌ على العقل، فهي عقيدةٌ عقليةٌ أي تُوصِّلَ إليها بالعقل، وهي مبنيَّةٌ على العقل، أي قامت على أساسِ إعمالِ الفِكرِ المستنيرِ فيما يقعُ عليهِ الحس، من موادِّ الكونِ والإنسانِ والحياة؛ فينشأُ عن هذهِ النظرةِ المستنيرةِ إدراكٌ أو يقينٌ أو إيمانٌ بوحدانيَّةِ اللهِ ورُبوبيَّتِه وسُلطانِهِ المُطلقِ على كُلِّ الحوادثِ والموجودات، وقد جاءت الرسالاتُ السماويَّةُ كُلُّها لتجسيدِ هذهِ الحقيقة، والعقيدةُ النصرانيَّةُ التي نزلت على المسيحِ - عليه السلام - واحدةٌ من الرسالاتِ السماويَّةِ التي جَسَّدت هذه الحقيقةَ، حقيقةَ لا إلهَ إلا الله... قالَ اللهُ تعلى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

إلا أنَّ العقيدةَ النصرانيَّةَ لم تبقَ على أصلِها الذي جاءت به، أي لم تبقَ على الدعوةِ إلى التوحيد، فقد ضَلَّت النصارى وأَضَلَّت، حتى انتهى الحالُ بالشعوبِ النصرانيَّةِ إلى الاعتقادِ بألوهيَّةِ المسيح، ومن ذلِكَ الاعتقادُ بالأقانيمِ الثلاثةِ - الآب والابن والروح القدس - وقبلَ أن نخوضَ في تفاصيلِ هذهِ الضلالات، لا بُدَّ من التَّأكيدِ على الحقائق القطعيَّةِ التالية:

أولًا: إنَّ النصرانيَّةَ ليست رسالَةً عالميَّةً، أي أن اللهَ تباركَ وتعالى لم يُكَلِّف المسيحَ ولا أتباعَهُ بدعوةِ غيرِ بني إسرائيلَ إلى النصرانيَّةِ، بل إنَّ المسيحَ جاءَ لتقويمِ اعوجاجِ بني إسرائيلَ من بعدِ ما انحرفوا عن شريعةِ موسى - عليه السلام - جاءَ في [إنجيلِ مَتَّى الإصحاح ١٥:٢٤] «لم أُرسَل إلَّا إلى خرافِ بيتِ إسرائيلَ الضالة» والقرآن الكريم يؤكِّدُ هذه الحقيقةَ، وذلك في قولِه تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾.

ثانيًا: إنَّ العقيدةَ النصرانيَّةَ اليومَ ليست عقيدةً عقليةً ولا مبنيةً على العقل، فهي لا تقنعُ

العقل ولا توافق الفطرة، ولا تبرز ما في الإنسانِ من عجزٍ واحتياجٍ إلى الخالق المدبر، وبالتالي لا تشبعُ غريزةَ التديُّن، ولا يُبنى على هذه العقيدةِ أحكامٌ وأفكارٌ ومعالجاتٌ لمشاكِلِ الحياةِ كُلِّ الحياة، ومن ثَمَّ لا تصلح أن تكونَ النصرانيةُ مبدأً تتبناهُ أُمَّةٌ ودولةٌ تعملُ على حملِ هذا المبدأِ حملًا حضاريًا عالميًا.

ثالثًا: لكل نَبِيٍّ معجزةٌ خَصَّهُ اللهُ بها، ومعجزةُ المسيحِ لم تكن في الإنجيلِ نفسِه، أي لم تكن في مادَّةِ الإنجيلِ أي في لُغَتِه، فلم تكن لغةُ الإنجيلِ لغةً معجزةً كما هو الحالُ في القرآنِ الكريم؛ ما جعلَهُ عُرضةً للتغييرِ والتحريفِ والاستبدالِ.

رابعًا: ما من نَبِيٍّ إلا وبَشَّرَ بِبعثَةِ سيدنا محمدٍ – صلواتُ ربي وسلامُه عليه – بمن فيهم عيسى – عليه السلام – جاءَ في إنجيل برنابا: «فلَمَّا التَفَتَ آدَمُ رأى مكتوبًا فوقَ البابِ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ محمدٌ رسولُ الله» [برنابا: ٤١ / ٣٣]. وبرنابا هذا أحدُ حوارِيِّي المسيح، وجدَ مخطوطاتِ إنجيلِهِ راعٍ أُردُنِيٌّ عام ١٩٤٨م في كهوفِ وادي قمران قُربَ البحرِ الميت، وقد وقعت هذه المخطوطاتِ بيدِ اليهودِ رغمَ أَنَّها من حقِّ الأردن، يقولُ القِسُّ «باول ديفوز» رئيسُ كهنةِ كُلِّ القِديسينَ في واشنطن في الصفحةِ الأولى من كتابِهِ «مخطوطاتِ البحرِ الميت» إنَّ مخطواطاتِ البحرِ الميتِ، وهي من أعظَمِ الاكتشافاتِ أهميةً منذُ قرونٍ عِدَّةٍ، قد تُغيرُ المفهومَ للإنجيلِ؛ لأنَّ فيها اعتراضًا على صِحَّةِ العقيدةِ النصرانيةِ [الأستاذ ثابت الخواجة: هل العقيدة النصرانية عقيدة عقلية].

خامسًا: إنَّ العقيدةَ الإسلاميةَ وحدَها العقيدةُ العقليَّةُ التي تتفقُ مع فِطرةِ الإنسان، وتبرزُ ما فيهِ من عجزٍ واحتياجٍ إلى الخالقِ المُدَبِّر، وتشبِعُ غريزَةَ التَّدَيُّن على وَجهٍ يوجِدُ الطمأنينَةَ والسكينةَ في النفس، وينبثِقُ عن هذهِ العقيدةِ أفكارٌ وأحكامٌ شاملةٌ لكُلِّ نواحي الحياة؛ وبذلكَ تكونُ العقيدةُ الإسلاميةُ عقيدةً عقليَّةً صحيحةً تُجزئُ معتنِقَها وَتُبْرِئ ذِمَّتَه في الدنيا والآخرة، وعقيدةً سياسيةً ينبثقُ عنها نظامٌ تتبناهُ دولةُ الخلافةِ الإسلامية، وتحمِلُهُ وتدعو إليهِ عالميًا للنهوضِ بالبشريةِ نهضةً صحيحةً على أساسٍ روحِيٍّ.

سادسًا: إنَّ العلاقةَ بينَ المسلمينَ وأهلِ الكتابِ – اليهود والنصارى – تقومُ على أساسِ دعوتِهم إلى الإسلامِ بالحُجَّةِ والجدالِ ومنهُ المباهلة، على أن يكونَ موضوعُ الجدالِ في المعقولِ لا في المنقول، أي في أصل الرسالةِ النصرانية؛ وذلكَ بإثباتِ أَزَلِيَّةِ اللهِ ووحدنِيَّتِهِ وتَفَرُّدِهِ بصفاتِ الجلالِ والكمال، وإثباتِ بَشَرِيَّةِ المسيحِ – عليه السلام – ونُبُوَّتِهِ كأيِّ نَبِيٍّ بَعثَهُ الله تعالى، وإثباتِ أَنَّ الروحَ القُدُسَ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بالوَحي، وإثباتِ أنَّ الأناجيلَ المتجددةَ والمتعددةَ

التي يؤمنُ بها النصارى ليست من كلامِ الله تبارك وتعالى، وأنَّ ما يؤمنونَ بِهِ ويدعونَ إلَيهِ من أفكارٍ عقَدِيَّةٍ كُفرٌ محضٌ لايُبرِئُ ذِمَّتَهُم في الدنيا ولا في الآخرة.

قُلنا إنَّ النصرانيةَ جاءت لِتقويمِ اعوجاجِ بني إسرائيل، وقد ظهرت النصرانيةُ في مجتَمعٍ يهودِيٍّ انحرفَ عن تعاليمِ التوراة، وفي بيئَةٍ غايَةً في التعقيد تأَثَّرت بالفلسَفَةِ اليونانِيَّة، [شارل بير / كتاب المسيحية نشأتها وتطورها ص٣٢-٣٣]

والنصارى اليومَ يَتبَعونَ ثَلاثَ كَنائسَ رَئيسة: الكنيسَةِ الكاثوليكِيَّةِ الغربِيَّةِ ومقَرُّها الفاتيكان بروما، والكنيسَةِ الأرثوذوكسِيَّةِ الشرقِيَّةِ ومركَزُها الاسكندَريةُ والقسطنطينيَّة، والكنيسَةِ البروتستانتِيَّةِ الإنجِيلِيَّة وليسَ لها مركز مُحدَّد، وتُعَدُّ بريطانيا حامِلةَ لوائِها، وتتفقُ هذهِ الكنائِسُ الثلاثُ على فِكرةِ التثليثِ، والخطِيئَةِ الموروثَةِ التي انبَثَقت عنها فِكرةُ الصَّلبِ والفداء، مع اختلافِها في تحديدِ طبيعَةِ المسيح: أهُوَ بشرٌ في إله؟ أم إلّهٌ في بشر؟ ويمكنُ إرجاعُ التعاليمِ النصرانيَّةِ التي يؤمِنُ النصارى بها اليومَ إلى أربَعةِ مصادرَ رئيسةَ وهي:

المصدرُ الأول: العهدُ القديم

ويشملُ التوراةَ بأسفارِها الخمسةِ وأسفارَ تاريخِ بني إسرائيلَ وتقعُ في عشرينَ سفرًا، ويشملُ كذلكَ ما يُسمونَهُ المكتوبات من مزاميرَ وأمثالٍ والمجلاتِ الخمسَةِ. ويُقررُ الكاتبُ اليهودِيُّ «وُول ديورانت» أَنَّ أسفارَ العهدِ القديمِ جُمعت لِأوَّلِ مرةٍ في بابلَ أيامَ السبْيِ، وظهرت في القرنِ الخامِسَ عشرَ قبل الميلاد. وفي دراسَةٍ لهُ عن العهدِ القديم، تساءَلَ الطبيبُ الفرنسِيُّ «موريس بوكاي» من هُوَ مؤلِّفُ العهدِ القديم؟ فيُجيبُ عنه قائلًا: كم مِن قارِئٍ للعهدِ القديمِ يُلقى عليهِ هذا السؤالُ فلا يجدُ جوابًا إلا مُرَدِّدًا ما قرأهُ في مدخَلِ التوراة، بأنَّ مُؤلِّفَ هذهِ الكُتبِ كُلِّها هوَ اللَّه ، وأنَّ الذينَ كتبوها هم بشرٌ من الذينَ أوحى الروحُ القُدُسُ إليهم [بوكاي : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ص ١٥] ثم يستأنفُ بقولِه: «ولقد كانت هناكَ نحوَ القرنِ الثالِثِ ق.م ثلاثةُ أشكالٍ لِنَصِّ التوراةِ العِبريِّ، على الأقل: نصُّ الشارحينَ اليهود، والنَّصُّ المستخدمُ في جُزءٍ من الترجمَةِ اليونانِيَّة، ونصُّ الأسفارِ السامِرِيَّةِ الخمسة، وظلَّ الأمرُ على ذلكَ إلى القرنِ الأولِ بعدَ الميلادِ حتى أصبحَ نصُّ التوراةِ مُوحّدًا [بوكاي ص ١٦] وهذا يعني أنَّ التاريخَ اليهودِيَّ لم يشهد نُسخةً واحدةً للعهدِ القديمِ مُتداولةً بينهم، لقد امتدَّت يدُ العَبَثِ اليهودِيَّةِ إلى نصوصِ التوراةِ. وفي هذا المعنى يقولُ الدكتورُ أحمدُ شلبيٌّ في كتابِهِ: «اليهودية» ص ٢٥١: «وحقيقةُ القولِ أَنَّ اليهودَ بعدَ أن انحرفت اعتقاداتُهُم وطِباعُهُم، تخَلَّصوا مِن أسفارِ موسى الحقيقِيَّة».

المصدرُ الثاني: العهدُ الجديد

وهوَ الشطرُ الثاني للكتابِ الـمُقدَّسِ عندَ النصارى، ويضُمُّ الأناجيلَ الأربعةَ: مَتَّى ومرقص ولوقا ويوحنا، ورسائِلَ بولس، ورسائِلَ نُسبت إلى بعضِ تلاميذِ المسيح، وهُنا يجدُرُ بنا أن نُشيرَ إلى الأسفارِ التعليميةِ التي تشتمل على ٢٢ رسالة ، قامَ بتأليفِ أكثرِها بولُس «شاوول اليهودي» والذي لا يمُت بِصلةٍ إلى عيسى - عليه السلام - ولا إلى الحوارِيِّين، وأغلبُ أفكارِ النصارى العقديةِ والتشريعيةِ تعتمِدُ على رسائِلِه، ولا يستطيعُ أحدٌ أن يَدَّعي أنَّ هذهِ الأناجيلَ أو واحدًا منها هو الإنجيلُ الذي نزلَ على المسيح وحيًا من عندِ الله، يقولُ المستشرقُ الفرنسيُّ « إيتين دِينيه»: «إنَّ نصوصَ الإنجيلِ تبعثُ في النَّفسِ الشكَّ في صِحَّةِ تلكَ الأناجيلِ التي بينَ أيدينا، لأنَّ الإنجيلَ الموحى بِهِ من عِندِ اللَّهِ إلى المسيحِ بِلُغَتِهِ ولغةِ قومِهِ ضاعَ واندَثَر ولم يَبقَ لهُ أثر. وقد وردَ في دائِرةِ المعارِفِ الفرنسيَّةِ أنَّ الأناجيلَ الأربَعَةَ المعتَمَدةَ لَدَى النصارى ما ظَهرت إلا بعدَ ثلاثةِ قُرونٍ من تاريخِ المسيحِ، وهيَ متعارِضَةٌ متناقِضَةٌ مجهولةُ الأصلِ والتاريخ [محمد عزت الطهطاوي / الميزان في مقارنةِ الأديان ص ١١٦] كما لا بُدّ! من أن نعلمَ أن الأناجيلَ الأربعةَ: «متَّى ومرقص ولوقا ويوحنا» لم تُدَوَّن في زمنٍ واحد، ولم تُكتب بلغةٍ واحدة، وهي ليست مما كتبَهُ المسيحُ، أو مما أملاهُ على تلاميذِهِ، أو مما كُتبَ في زمانِهِ فأقَرَّه، وتحتوي هذهِ الأناجيلُ على نصوصٍ فيها مِنَ المُغالطاتِ والتناقُضاتِ فيما بينها مما يؤكدُ استِحالَةَ نسبَتِها إلى الوحي، وهذهِ طائفةٌ من النصوصِ التي تنطِقُ ببطلانها:

١- ما جاءَ في إنجيلِ لوقا: «أَتظنونَ أَني جئتُ لِأعطي سلامًا على الأرضِ، كلا بل انقسامًا؛ لأنهُ يكونُ مِنَ الآنَ خمسةٌ في بيتٍ واحدٍ مُنقسمينَ، ثلاثةٌ على اثنين واثنانِ على ثلاثةٍ، ينقسمُ الأبُ على الابنِ والابنُ على الأب، والأمُّ على البنتِ والبنتُ على الأم، والحماةُ على كِنَّتِها والكنَّةُ على حماتِها [لوقا الإصحاح ١٢ / ٤٩ - ٥٣] فهل هذا من كلامِ الله؟ تعالى اللَّهُ عن ذَلكَ عُلُوًّا كبيرًا.

٢- نصوصٌ متضاربةٌ في الأمر الواحد : ومن ذَلكَ ما جاءَ في «مَتَّى»: أنَّ يوسفَ بنُ يعقوب، وفي «لوقا» أنهُ ابنُ هالي، وفي «مَتَّى» أنَّ عيسى من أولادِ سُليمانَ بن داود. وفي «لوقا» أنهُ من أولادِ ناثانَ بنِ داود. وفي «مَتَّى» من داود إلى المسيح سِتَّةٌ وعشرونَ جيلًا، وفي «لوقا» واحدٌ وأربعونَ جيلًا.

٣- تضاربٌ في النُّسخِ الثلاثِ للكتابِ المقدَّس - العِبريَّةِ المعتمدَةِ عندَ اليهودِ والبروتستانت، واليونانِيَّةِ المعتمدةِ عندَ الكاثوليك، والسامِريَّةِ المعتمدَةِ عندَ السامِرِيِّينَ - فيماَ يتعلقُ بالمدةِ

من خلقِ آدمَ إلى طوفانِ نوحٍ – عليهما السلام – ففي النسخةِ العبرانيَّةِ ١٦٥٦ سنة، وفي النسخةِ اليونانيَّةِ ٢٢٦٢ سنة ، وفي السامريَّةِ ١٣٠٧ سنوات [الأستاذ ثابت الخواجة/ هل العقيدة النصرانية عقيدة عقلية]

المصدرُ الثالث: رسائلُ بولس وضلالاتُه.

وبولس هذا يهوديٌّ رومانيٌّ اسمُهُ شاوول، كانَ من أَلَدِّ أعداءِ النصرانيَّة، وادَّعى اعتناقَها بل وصلَ إلى مرتبةِ «القِدِّيس» فيها، وهوَ القائلُ عن نفسِه: فإنِّي إذ كُنتُ حُرًّا من الجميعِ، استعبَدتُ للجميعِ لأربَحَ الأكثرينَ، فصرتُ لليهودِ كَيَهودِيٍّ لأربَحَ اليهود، وللذينَ تحتَ الناموسِ كأني تحتَ الناموسِ لأربَحَ الذينَ تحتَ الناموس، وللذينَ بلا ناموسٍ كأني بلا ناموس... صرتُ للكُلِّ كُلَّ شيءٍ؛ لأُخلِّصَ على كُلِّ حال قومًا [الأستاذ ثابت الخواجة: محاضرة هل العقيدة النصرانية عقيدة عقلية؟] فهنيئًا للنصارى ببولس هذا، الذي يُصرحُ بيهوديَّتِهِ بقوله: «أنا فريسيٌّ ابنُ فريسيٍّ، على رجاءِ قيامةِ الأموات أنا أُحاكم». يقولُ وُل ديورانت: «ولقد أنشأ بولس لاهوتًا لا نجدُ له إلا أسانيدَ غامِضةً أشَدَّ الغموضِ في أقوالِ المسيح، أما أسُسُ هذا اللاهوتِ فأهَمُّها أَنَّ كُلَّ ابنِ أُنثى يزنُ خطيئةَ آدَمٍ، ولا شيءَ يُنجِّيهِ مِنَ العذابِ الأبَدِيِّ إلا موتُ ابنُ اللَّهِ ليُكَفِّرَ بموتِهِ عن خطيئَتِه» [ول ديورانت: ١١ / ٢٦٤] وأدخلَ بولُس على النصرانيَّةِ فكرةَ التطَهُّرِ بالتعميدِ، وعنِ الوثَنِيَّةِ أضافَ فكرةَ تضحيةِ الربِّ بنفسِهِ تكفيرًا عن خطايا البشر، وأضافَ فكرةَ الأكلِ الجماعِيِّ للخبزِ الذي يرمزُ – حسبَ زعمِهِ - إلى جسدِ المسيح وشُربَ الخمرِ الذي يرمزُ إلى دم المسيح، وهوَ الذي جعلَ النصرانيَّةَ دعوةً مفتوحةً لجميعِ الأمم، وهوَ الذي أبطلَ الختانَ وأباحَ الخنزيرَ ونقلَ العيدَ منَ السبتِ إلى الأحدِ مُراضاةً للوثنيين.

المصدرُ الرابع : المجامعُ الكنسية

إنَّ جُملةً من الأفكار النصرانيةِ لا تستندُ إلى الكتابِ المقدسِ بعهديهِ القديمِ والجديد، وإنما تَمَّ اعتمادُها وتبنِّيها في مجامِعَ كنَسيةٍ ظُلمًا وعُدوانًا على الله، ومن هذهِ المجامع:

١- مجمعُ نِيقِية الذي انعقدَ سنةَ ٣٢٥م في مدينةِ نِيقِيةِ برعايةِ الإمبراطورِ قسطنطين لِحلِّ قضيةِ خلافٍ عَمَّت أرجاءَ الدولةِ الرومانية، بينَ آريوسَ الذي كانَ يتبَنى رأيَ الموحِّدينَ، ورئيسِهِ إلكسندروسَ بطريركِ الإسكندريةِ الذي كانَ يتبنى رأيَ المُؤلِّهينَ للمسيح، وقد وقفَ الباعثُ السياسِيُّ وراءَ انعقادِ هذا المجمَعِ، وما صدرَ عنهُ من قراراتٍ تَبَنَّت في نهايةِ المطافِ ألوهِيَّةَ المسيح، في حرصٍ من الإمبراطورِ قسطنطينَ الذي لم يكن قد مضى على اعتناقِهِ

للنصرانيَّةِ بضعَ سنوات، في حرصٍ منهُ على تثبيتِ دعائِمِ إمبراطوريتِهِ ، حتى لو كانَ ذلكَ على حسابِ إيمانِ الناسِ ومصيرِهم في الحياةِ الأبديَّة! وعلى الرغمِ من أنَّ الذينَ حضروا هذا المؤتَمَرَ في بدايتِهِ كانوا حوالي ٢٠٤٨ أسقفًا ، إلا أَنَّ قسطنطينَ تَبنَّى رأيَ ٣١٨ أسقفًا منهم. وهؤلاءِ كما يقولُ ابنُ البطريكِ جعلَ لهم الإمبراطورُ مجلسًا خاصًا وجلسَ في وسطِهم وقال لهم: لقد سَلطتُكُم اليومَ على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوهُ مما هُوَ قُوامُ الدينِ وصلاحُ المؤمنين... فباركوا الملكَ وقَلَّدوهُ سيفَهُ وقالوا لهُ: أظهِر دينَ النصرانيةِ [أبو زهرة : محاضرات في النصرانية / ص١٣٩] وبذلكَ تبنَّى المُؤتمرُ رأيَ الأقليَّةِ مدعومينَ بسيفِ الإمبراطورِ وإرهابِهِ الفكريِّ الذي أغضَبَ الغالبيَّةَ الذينَ خرجوا محتجينَ على طريقةِ سيرِ أعمالِ المؤتمرِ وقراراتِهِ التي منها: الكنيسةُ الرسوليةُ تُحرمُ القولَ بأنَّ الزمنَ قد خلا من ابنِ الله بتاتًا، طردُ كُلِّ من يخرجُ على هذهِ العقيدة، وقد حَكمَ المجمَعُ على آريوسَ ومن معهُ من دعاةِ التوحيدِ وبشريَّةِ المسيحِ باللعنةِ والحرمان، وصدرَ مرسومٌ إمبراطوريٌّ بحرقِ كُتبِ آريوسَ جميعِها، ويجعلُ إخفاءَ أيِّ كتابٍ منها جريمةً يُعاقَبُ عليها بالإعدام، [ول ديورانت: قصة الحضارة ٣٩٦ : ١١]

٢- مجمعُ القسطنطينيةِ الأول الذي انعقدَ سنةَ ٣٨١م بحضورِ ١٥٠ أسقفًا، تَتِمَّةً لقراراتِ مجمعِ نيقيةَ الذي أقَرَّ بألوهِيَّةِ المسيحِ وأنهُ ابنُ الله، ولكنهُ لم يبحث علاقَةَ الألوهِيَّةِ بالروحِ القُدس؛ حيثُ أقرَّ هذا المجمعُ ألوهِيَّةَ الروحِ القُدُسِ إتمامًا لثالوثِ الأقانيمِ الثلاثة. سبحانَ اللهِ وتعالى عن كُلِّ ذلكَ عُلُوًّا كبيرًا.

٣- مجمعُ إفسس الأولِ الذي انعقدَ سنة ٤٣١م ، وقد بلغَ أعضاءُهُ كما يقولُ ابنُ البطريك: ٢٠٠ أسقفًا، وفيهِ أُقِرَّ بتأليهِ مريمَ العذراءِ، وأنَّ مريمَ العذراءَ والدةُ الله، وأنَّ المسيحَ إِلَهٌ حقٌّ وإنسانٌ معروفٌ بطبيعَتَينِ متوحِّدٌ بالأقنوم... وهذهِ إضافةٌ أخرى بل قُل مهزلةٌ أخرى تُضافُ إلى سِجلاتِ الضالين الذينَ ضَلُّوا بِشركِهم وأضَلُّوا أُممًا وشعوبًا سقطت في أوحالِ الكُفرِ اتِّباعًا للهوى، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله! بقي أن نقولَ في هذا المجال: إن صاحبَ كتابِ «سوسنةِ سليمانَ في أصولِ العقائدِ والأديان» نوفل أفندي نوفل، قد أحصى عددَ المجامعِ العامةِ مِنَ القرونِ الأولى للمسيحيةِ حتى سنةِ ١٨٦٩م فكانت عشرينَ مجمعًا يلعنُ بعضُها بعضًا في مشاهِدَ مُبكيةٍ ومضحكةٍ في آن، ولا ننسى هَهُنا أن نُشيرَ إلى آخرِ هذهِ المجامعِ سنةَ ١٩٦٤م ، حيثُ غُسلت فيه أيادي اليهودِ وبُرِّئُوا من دمِ المسيحِ الذي صَلَبَهُ اليهودُ وقتلوهُ بزعمهم.

والآنَ نأتي إلى الأفكارِ العقَدِيَّةِ الأساسيةِ التي تتفقُ عليها الكنائِسُ النصرانيةُ الثلاثِ مع اختلافٍ شَكلِيٍّ فيها، عدمُهُ خيرٌ من وجودِه:

أولًا : التثليثُ والأقانيم.

وهي فكرةٌ خبيثةٌ، بذرَ بِذرتَها الأولى بولس، ثم حملَ لواءَها بطريركُ الإسكندريةِ المتأثرُ بالفلسفةِ الأفلاطونيَّةِ التي عرفت التثليثَ من قبل، حتى صارت رُكنًا من أركانِ العقيدةِ النصرانيةِ اكتملت في مجمعِ القسطنطينيةِ سنة ٣٨١م.

إنَّ التوحيدَ عقيدةٌ أصيلةٌ نزلت مع آدمَ - عليه السلام - ودعا إليها كُلُّ الأنبياءِ، يقولُ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ والمسيحُ - عليهِ السلامُ - براءٌ مِنَ التثليث وأقانيمه يقولُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾. ومعَ كُلِّ ما وَقَعَ على العهدَينِ القديمِ والجديد من تحريف؛ إلا أَن نصوصًا كثيرةً منها تدعو إلى التوحيدِ، ليعلَمَ النصارى أنَّ أصولَ رسالَتِهم مُسَلَّمةٌ لا شِركَ فيها، ففي العهدِ القديم: «اسمع يا إسرائيل، الرَّبُّ إِلَهُنا واحدٌ، فَلْتُحِبَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ من كُلِّ قَلبِكَ ومن كُلِّ نَفسِكَ ومن كُلِّ قُوَّتِك، ولتَكُن هذهِ الكلماتُ التي أنا أوصِيها بِكَ على قَلبِكَ وقُصَّها على أَولادِكَ، وتَكَلَّم بِها حينَ تجلِسُ في بَيتِكَ وحينَ تَمشي على الطريقِ، وحينَ تنامُ وحينَ تقومُ» [سفر التثنية.] وفي العهدِ الجديد جاءَ في إنجيلِ مَتَّى أنَّ إبليسَ طَلَبَ من يسوعَ المسيحِ أن يسجدَ لَهُ من دونِ اللهِ، فقالَ لهُ يسوعُ: «اذهب يا شيطان؛ لأنَّهُ مكتوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهَكَ تسجُدُ، وإِياهُ وَحدَهُ تعبد» [مَتَّى / ٤ : ١٠] وفي إنجيلِ لوقا يُناجي المسيحُ رَبَّهُ فيقول: «أَحمدُكَ أَيُّها الرَّبُّ، رَبُّ السماءِ والأَرضِ» [لوقا / ١٠ : ٢١] وكذلِكَ الحالُ في إنجيلِ يوحَنَّا، فإِنَّ المسيحَ يرفعُ عَينَيهِ نحوَ السَّماءِ فيقول: «وهذهِ الحياةُ الأَبَدِيَّةُ أن يُوفوكَ الإِلَهَ الحقيقِيَّ وحدهُ، ويسوعُ المسيحُ الذي أرسلتَهُ» [يوحنا / ١٧:٣].

وفكرةُ التثليثِ هذهِ لا تصمُدُ أمامَ الفكرِ المستنير، وتأباها العقولُ السويَّة، فلا المسيحُ ثلاثةٌ في واحدٍ كما تؤمنُ الكنيسةُ الكاثوليكية، ولا هوَ واحدٌ في ثلاثةٍ كما تؤمنُ الكنيسةُ الأرثوذكسية، وللفريقِ الأولِ نقول: إنهُ يلزمُ من كونِ المسيحِ ذا طبيعَتَينِ - لاهوتيةٍ وناسوتية - أن يتصفَ بصفاتِ العجزِ البشريِّ وصفاتِ الأزليةِ في آن، والعقلُ السَّويُّ يأبى أن يكونَ المسيحُ الإنسانُ الذي يأكلُ الطعامَ ويشربُ الشرابَ ويقضي حاجَتَه في الخلاء مخلوقًا يجمعُ بينَ المتناقِضَين!. يقولُ الواحدُ الأحدُ، في القرآن الكريم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وللفريقِ الثاني نقول: إنَّ قولَكُم - يا ويلَكُم

من الله - بأنَّ المسيحَ ذو طبيعةٍ إلَهِيَّةٍ واحدةٍ يلزمُ منهُ تقاسُمُ صفاتِ الألوهِيَّةِ ومشاطرتُها إلى ثلاثةِ أثلاث بينَ الأقانيمِ الثلاثة! بينَ الأب والابنِ والروحِ القُدُس، فأيُّهُم الإلَهُ المُهيمِنُ على الحوادثِ والموجودات؟ ومن خلقَ السماواتِ والأرضَ وما بينهما؟ ومن لهُ الخلقُ والأمرُ من قبلُ ومن بعد؟ ومن يتوفى الأنفُسَ حينَ موتِها والتي لم تمُت في منامها؟ ومن سيُحيي الموتى ويبعثُ من في القبور يومَ البعثِ والنشور؟ ومن يسوقُ الكافرينَ إلى جهنَّمَ زُمَرًا ؟ ومن يسوقُ المتقينَ المـوحِّدينَ من عبادِهِ إلى الجنةِ زُمرًا؟ يقولُ الحقُّ المـُنَزَّهُ عنِ الشريكِ والمثيل: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾. ومِن فَمِكُم ندينُكم أيها الضالّون، يقولُ الأبُ زكي شنودة: «وهذهِ حقيقةٌ تفوقُ الإدراكَ البَشَرِيَّ الذي لا يفهمُ إلا أَنَّ الطبيعَةَ الإلَهِيَّةَ إنما تتضَمَّنُ أقنومًا واحدًا»

إنَّ الأَزَلِيَّةَ من لوازمِ صفاتِ الأُلوهِيَّةِ التي لا يمكن أن تتجزَّأَ أو تتوَزَّعَ على اثنينِ أو ثلاثةٍ. ولو كانَ الأمرُ كذلكَ لَذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بما خلقَ، ولعلا بعضُهُم على بعضٍ، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ وقال سبحانهُ في عليائه: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

ثانيًا : الصلبُ والفداء

وهي فكرةٌ فلسفيةٌ تنزعُ إلى الوثنية، وتقضي بأنَّ المسيحَ ابنَ الله أنزَلَهُ اللَّهُ على الأرضِ ليُقدمَ نفسَهُ قُربانًا على الصليبِ تكفيرًا لخطايا بني آدَمَ التي ورثوها عن خطيئَةِ آدمَ بأكلِهِ من الشجرةِ التي نُهي عنها في الجنة... فهل من المعقولِ أن يأخذَ اللَّهُ الناسَ بجرائرَ لم يرتكبوها؟ أو يحاسبَ اللهُ الناسَ على خطيئَةٍ غَفَرها لمرتكبِها؟ يقولُ الجليلُ في عليائِه: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ وفي سِفرِ التثنيةِ وردَ ما يُعَزِّزُ ذلك: « كُلُّ إنسانٍ بخطيئَتِه يُقتل»

وهذهِ مُصيبَةٌ أخرى: يُرسلُ الرَّبُّ ابنَهُ الوحيد تضحيةً وفداءً للبشر! يتألَّمُ فداءً لهم ويموتُ من أجلِ خلاصِهم، ثم يقبلُ أن يُقبضَ عليهِ كاللصوصِ، ويُقادَ بالقيودِ إلى خشبةِ الصَّلبِ، يُدَقُّ بالمسامير، ويوضعُ تاجُ الشوكِ استهزاءً به على رأسِه، ويُبصقُ في وجهِه، ويتلقى من الإهاناتِ الكثير، ثم يستصرخُ قائلًا «إيلي إيلي لِمَ شَبَقتني» أي إلَهي إلَهي لِمَ تَركتني؟ فكيفَ يصرخُ المسيحُ متألِّمًا مُعاتِبًا رَبَّهُ وقد نزلَ وصُلِبَ طائعًا غيرَ مُكرَه؟ وإذا كانَ اللَّهُ قد غفَرَ لبني آدمَ عثرةً لم يرتكبوها، فكيفَ يغفرُ لهم خطيئَتَهم بصلبِ ابنِهِ الوحيدِ وقتلِه؟ في الوقتِ الذي نَجِدُ

فيهِ أنَّ إنجيلَ يوحنا [١٩/ ١١] يُحَمِّلُ الإثمَ والخطيئةَ للرجلِ الذي أَسلَمَ المسيحَ إلى صالِبيهِ وقاتِليه: «حقًّا إنَّ هذا لأمرٌ عُجاب!»

وهل علِمَت النصارى أَنَّ عبدَ الأحدِ داود صاحبَ كتاب «الإنجيل والصليب» قد أسلَمَ بعد أن أَنعَمَ عقلَهُ في خرافةِ الصلبِ والفداءِ هذه؟ إضافةً إلى ذلكَ ما أوردَهُ الكاتبُ المسيحيُّ عوض سمعان في كتابِهِ «قضيةُ الغفران في المسيحية» عن جماعةٍ من الفلاسفةِ ظهروا في القرنِ الثاني للميلاد، أطلقوا على أنفُسِهم اسمَ «الغنوصيين» أي أهل العلمِ والمعرفةِ، أنكروا صَلبَ المسيحِ، وقالوا إنَّ «شمعانَ القيرواني» رضِيَ أَن يُصلَبَ عنِ المسيحِ... وكذلكَ فإنَّ «الدوكنيين» أنكروا مسألَةَ الصَّلبِ مُطلقًا إنما تَراءَى للناسِ أَنَّهُم صلَبوه، وفي سنةِ ١٧٥م قامَ فريقٌ من نسلِ كَهنةِ طِيبة الورعين فقالوا حَاشَى للمسيحِ مِنَ الصَّلبِ، بل إنَّه رُفِعَ إلى السَّماءِ سالِمًا، وفي سنةِ ٣٧٠م ظهرَت طائِفةُ «الهرموسيين» فأخذَ فريقٌ منهُم برأيِ الغنوصيين، وفي سنةِ ٥٢٠م هربَ أسقفُ سوريا «ساويروس» إلى الإسكندرية، فوجدَ فيها قومًا منَ الفلاسِفةِ يُنكرون صلبَ المسيح، وفي سنةِ ٦١٠م نادى الأسقُفُ يوحنا ابنُ حاكمِ قُبرص بأنَّ المسيحَ لم يُصلَب، ولكن شُبِّهَ للناظرينَ أنهُم صلبوه [محمود بن الشريف / الأديان في القرآن: ص ٢١٢ – ٢١٣]

إنَّ المسيحَ – عليه السلام – رسولٌ مُكَرَّمٌ من أولي العزمِ من الرُّسُل، وما كانَ اللهُ تباركَ وتعالى لِيرضى لِنَبِيِّهِ الإهانةَ والإذلالَ على الصليبِ المزعوم، ونحنُ المسلمينَ نؤمنُ بِهِ رسولًا بَعَثَهُ اللهُ إلى بني إسرائيل، يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾

ولقد قَدَّمَ القرآنُ الصورةَ المشرقةَ لمسألَةِ الصَّلبِ، والتي تليقُ بكلمَةِ اللهِ ورسولِه، فلم يجعل نِهايَتَهُ تلكَ النهايَةَ المؤلِمَةَ التي جاءت بها أناجيلُ النصارى حيثُ الإهانةُ والاقتيادُ والشتمُ والتوبيخُ، ثُم الصلبُ ودَقُّ المساميرِ وَنَزفُ الدمِ إلى أن يموت، اسمَع قولَ اللهِ تعالى في ذلك: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ واسمَع لقولِهِ وعيناكَ تفيضُ وجَلًا: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ هكذا نَجَّى اللَّهُ كَلِمَتَهُ ورسولَهُ من كيدِ اليهودِ الذينَ هَمَّوا بِقَتلِهِ كعادَتِهم في قتلِ الأنبياءِ ومعاداتِهم التي ظَلَّت سُنةً بل سُبَّةً تُلازمُ اليهودَ عبرَ التاريخ.

ثالثًا: الدَّينونةُ التي يملكُها المسيح

هذهِ هِيَ الفكرةُ الأساسِيَّةُ الثالثةُ للعقيدةِ النصرانيةِ ، حيثُ يؤمِنُ النصارى بأنَّ الأبَ قد أعطى ابنَهُ سُلطانَ محاسَبَةِ البشرِ، فالابنُ بالإضافةِ إلى أُلوهِيَّتِهِ وأبَدَيَّتِهِ هُوَ أيضًا ابنُ بَشَرٍ، فهو أولى بمحاسَبَةِ الإنسان! جاءَ في رسالةِ بولس إلى أَهلِ إفسس [٢٢ / ١] قوله: «أقامَ اللَّهُ المسيحَ مِنَ الأمواتِ وأجلَسَهُ عن يَمينِهِ في السماواتِ فوقَ كُلِّ رِئاسَةٍ وسُلطانٍ وقُوَّةٍ وسيادةٍ، وأخضَعَ كُلَّ شَيءٍ تحتَ قَدَمَيهِ» وفي إنجيلِ يوحنا «الأبُ لا يَدينُ أحدًا بل قد أعطى كُلَّ الدَّينونةِ للابن» [يوحنا / ٥ : ٢٢]»

إنَّ الذي يملكُ حقَّ محاسَبَةِ الناسِ على أعمالِهِم، هو الأزَلِيُّ الذي يملكُ السلطانَ المطلقَ على كُلِّ الحوادِثِ والموجوداتِ، إنَّهُ اللَّهُ المُتَفَرِّدُ في الخلقِ والتدبير، إنَّهُ القَيُّومُ الذي لا يعزُبُ عنهُ مثقالُ ذرَّةٍ في الأرضِ ولا في السماء، إنَّهُ الذي يعلَمُ خائِنَةَ الأعيُنِ وما تُخفي الصدور، يقولُ الجليلُ في عليائِه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لقد جعلَ اللَّهُ رُسَلَهُ – ومنهم المسيحُ عليه السلام – شُهودًا على الأُممِ التي أُرسِلوا إليها، أما الحسابُ والثوابُ والعقاب، فهو للذي يملكُ ناصيةَ البشَرِ وناصِيتَهُم، يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى على لِسانِ المسيحِ عليهِ السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

وبعد، فقد استعرضتُ في هذا البحثِ ما استطعتُ مما يلزمُ لإحقاقِ الحقِّ وإبطالِ الباطل، وإن كانَ هذا البحثُ قد اتَّسمَ بالاختصارِ والاقتصار، فلعلَّ في الاختصار والاقتصارِ إبصار، ولعلَّ في الإيجازِ إنجاز، ولعلَّ في الإقلالِ إدلال، ولقد ضربتُ صفحًا عن كثيرٍ من نصوصِ «كتابِ النصارى المقدسِ» بعهدَيهِ القديمِ والجديد، التي لا أراها تليقُ بهذا البحثِ والغرضِ منه، فلم آتِ على نصوص سِفرِ نشيدِ الأنشادِ وسفرِ حزقيال «مثلًا تزكيةً للصفحاتِ وتكريمًا للعبارات، وإلا فالقولُ كثيرٌ وكثيرٌ في هذا الباب، وأكتفي هَهُنا بالتعريضِ عن سِفرِ «نشيدِ الأنشادِ» هذا الذي تُقَدِّسُهُ الشعوبُ النصرانيةُ وتنسِبُهُ إلى الله – تعالى اللَّهُ عن ذلكَ عُلُوًّا كبيرًا – هذا السِّفرُ

من العهدِ القديم الذي قد يُخَيَّلُ لقارِئِهِ أنَّهُ نصوصُ فيلمٍ جنسِيٍّ أخرجَتهُ كاميراتُ هوليود... وأسكُتُ عن غيرِ ذلك.

يقولُ أبو بكرِ بنِ العربيِّ: واللَّهُ أكرمَ هذهِ الأُمَّةَ - الأمةَ الإسلامية - بالإسنادِ والأنسابِ والإعراب، ولم يُعطِهِ أحدًا غيرَها، فاحذَروا أن تسلكوا مسلَكَ اليهودِ والنصارى... حقًّا وصِدقًا، نحنُ الأُمَّةُ التي أكرمَها اللَّهُ بالقرآنِ الكريمِ الذي أَعيت بلاغَتُهُ أقحاحَ العربِ أربابَ الفصاحة، وتحَدَّى اللَّهُ بهِ البشَرَ إلى يومِ القيامةِ أن يأتوا بمثلِهِ، فسَلِمَ من المعارضَةِ ولايزالُ، وسيبقى محفوظًا بِحفظِ اللَّهِ لَهُ، لا بل إنَّ الأُمَّةَ الإسلاميةَ قد حفظت حديثَ رسولِها الكريمِ سندًا ومَتنًا، من أن تنفذَ إلَيهِ أيادي الزنادقةِ والوضَّاعين، فاكتَمَلَ دينُ اللَّهِ الإسلامُ عندما حفظَ الصحابةُ القرآنَ في الصدورِ وفي السطور قبلَ أن تهدأ نفسُ سَيِّدنا محمدٍ – عليه الصلاةُ والسلام – ثُمَّ تَمَّت نعمَةُ اللَّهِ بجمعِ القرآنِ في خلافَةِ أبي بكر الصديق، ثُمَّ فاضَ الخيرُ بنسخِهِ في خلافَةِ عثمانَ ذي النَّورَين، وعندما يئسَ المتربِّصونَ بهذا الدينِ من النفاذِ إلى آيِ القرآن، سَوَّلَت لهُم نُفوسُهم العبَثَ في سُنَّةِ المصطفى، فكانَ علمُ مصطلحِ الحديثِ وما تضَمَّنهُ من علومٍ لهم بالمرصاد، حَصَّنت سُنَّةَ النبيِّ من عبثِ هؤلاءِ الحاقدين.

فيا خيرَ أُمَّةٍ أُخرجت للناس، هَلَّا انتَبَهتِ إلى تكريمِ اللَّهِ لكِ؟ هَلَّا التَفَتِّ إلى عظيمِ نِعمةِ اللَّهِ عليكِ؟ إذًا فأنتِ والحالُ كذلِكَ المسؤولَةُ عن شعوبِ الأرضِ التي تتخبَّطُ في دياجيرِ الكُفرِ، أنتِ أيَّتُها الأُمَّةُ الشاهِدةُ المُخَوَّلَةُ بالأخذِ بأيدي هذهِ الشعوبِ إلى اعتناقِ الدينِ الحقِّ، وإخراجِ مَن شاءَ من عبادةِ العبادِ إلى عبادَةِ ربِّ العباد، يقولُ الحقُّ جَلَّ في عَلياهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾. ودولةُ الخلافةِ الإسلاميةِ هي الطريقةُ الشرعيةُ التي فرضَها اللَّهُ لتبليغِ هذهِ الرسالةِ وحملِ هذهِ الأمانة، فإلى العَمَلِ لإقامةِ دولة الخلافَة ندعوكُم أيُّها المسلمونَ المُوَحِّدون، وإلى تخليصِ أهلِ الثالوثِ من شِركِهِم، ويا أهلَ الكتاب، لا مناصَ لكُم من أن تؤمنوا باللَّهِ ربًّا أحدًا فردًا صمَدًا، لا وَلَدَ لهُ ولا والِد... وبالإسلامِ دينًا وبمُحمدٍ – صلواتُ ربي وسلامُهُ عليه – نبيًّا ورسولًا.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

الاقتصاد العالمي... على حافة الانهيار!!. (٢)

حمد طبيب بيت المقدس

إننا بعد هذه الحقائق والوقائع العملية والأحداث نصل إلى الحقيقة الساطعة البينة، وهي أن النظام الرأسمالي هو نظام الأزمات والتقلبات والكوارث الاقتصادية المستمرة؛ والتي لا تنتهي طالما بقي مطبقًا في أرض الواقع، منذ نشأته حتى اليوم؛ والسبب في ذلك يعود لعدة أمور ذكرها كبار الساسة والاقتصاديين من الغربيين:

فقد جاء على لسان الخبير الاقتصادي (روجر كيري) في كتابه (جنون الاقتصاد) قال: «إن المشكلة لا تكمن في كيف نطبق نظامنا الاقتصادي، فنظامنا الاقتصادي بعينه هو المشكلة».

ويقول البروفيسور (عبد الحي زلوم) في كتابه الشهير (نذر العولمة): «لقد حقق النظام الرأسمالي المعلوماتي إنجازات علمية وتكنولوجية هائلة صاحبه خواء روحي وانحطاط أخلاقي كبيرين، كما حقق إنجازات مادية لشعوبه على جانبي الأطلسي والبالغة حوالى ١٠٪ من سكان الكرة الأرضية؛ وذلك باستلاب مقدرات الـ٩٠٪ من بقية السكان الآخرين، وجاءت أدوات العولمة واقتصادها لتزيد من عملية الاستلاب تلك، واستلبت فئة الواحد بالمائة من كل شعب من شعوبها مقدراته، ثم استلبت خيرات ومقدرات البقية من الشعوب؛ فأصبح العالم مضطربًا كالواقف على رأسه لن يقوى على مثل هذا الوضع ولا يمكن الاستمرارية به، حتى إن النظام المعلوماتي بجبروته ووحدانيته هذه الأيام كان قاب قوسين أو أدنى من الانهيار!!».

ويقول الكاتب سالم كيلة في مقال نشرته الجزيرة نت ١٢-١٠-٢٠١٣م: "ما يحدث من أزمات عالمية يؤشّر على اختلال هائل في التكوين الرأسمالي، وعلى أننا مقبلون على نهوض عالمي ضد الرأسمالية؛ فالاقتصاد الرأسمالي ليس في حالة جيدة، ونسبة نموه ضئيلة، وهو يغرق في أزمات قديمة وملاصقة للنمط الرأسمالي، مثل أزمة فيض الإنتاج؛ التي تفضي إلى الكساد والركود، وانهيار صناعات وشركات وبنوك، وأزمات جديدة نشأت عن التشكل الجديد للرأسمال، وتحوّل كتلة هائلة منه إلى النشاط المضارب، وبالتالي اختلال العلاقة بين الرأسمال المنتج والمال البنكي لمصلحة الأخير، وهو الأمر الذي فرض نشوء أزمات جديدة أكثر تعقيدًا من الأزمات الدورية التي كانت تمرّ بها الرأسمالية؛ ولقد انفجرت الأزمة الأخيرة يوم ١٥ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٨ وما

زالت مستمرة، رغم كل محاولات تجاوزها، وفي سياق السعي لتجاوزها تجري محاولة حلها على حساب الشعوب، شعوب الأطراف أولًا، وشعوب البلدان الرأسمالية الطرفية ثانيًا، وشعوب البلدان الرأسمالية عمومًا ثالثًا... هذا الحل هو الذي يفجر الاحتجاجات، حيث تقوم الدول التي راكمت مديونية هائلة خلال العقود الثلاثة الأخيرة باتباع سياسة تقشفية تنهك العمال والفئات الوسطى».

لقد حاولت أميركا عن طريق عنجهيتها وتسلطها على دول العالم - خلال السنوات الماضية- أن تحمل أعباء هذه الأزمات والنكبات على كاهل العالم أجمع لتنجو من هذه الهزات والأزمات؛ فالأزمة التي حصلت سنة ١٩٢٩م، لم يتعافَ منها الاقتصاد الأميركي إلا عندما دخلت أميركا الحرب العالمية الثانية؛ واختلقت الأسباب لإقناع الشعب الأميركي بذلك، يقول «غوردون توماس» مؤلّف كتاب «الكتاب الأسود» لوكالة الاستخبارات الأميركية:" خرجت الولايات المتحدة من الحرب قوة صناعية مسيطرة في العالم، وجعلت منها أكبر مصدر استثمار، وتوسعت وتجددت صناعتها، وأصبحت تبحث عن أسواق خارجية لتصريف منتجاتها. ولم تكن أوروبا تستطيع الاستجابة، بسبب النقص في قدراتها الشرائية عند انتهاء الحرب، مما أعطاها مؤشرات لبداية كساد اقتصادي في العام ١٩٤٧ (شبيه بالكساد الرهيب عام ١٩٢٩) نتيجة تخفيض مشتريات الدولار في أسواق أوروبا، وخفض الطلب فيما وراء البحار؛ ولذلك فقد جاء (مشروع مارشال) استجابة لحاجة الاقتصاد الأميركي، وضرورة إنعاش وتنشيط الاقتصاد الأوروبي، ونمو أسواق أوروبا أمام منتجات الصناعة الأميركية... لقد كانت الحرب ونتائجها والدعوة إلى إعمار أوروبا سببًا لاستعادة الاقتصاد الأميركي عافيته منذ الأزمة المالية التي عصفت به عام ١٩٢٩».

جاء في الموسوعة العربية: «أهداف مشروع مارشال... لقد خرجت دول أوروبا من الحرب العالمية الثانية بخراب في البنى التحتية لبلدان أوروبا مما جعلها بحاجة إلى استثمارات كبيرة لاستعادة توازنها الاقتصادي وتحقيق الانتعاش من جديد، في حين خرجت الولايات المتحدة من الحرب قوة صناعية مسيطرة في العالم، وجعلت منها أكبر مصدر استثمار، وتوسعت وتجددت صناعتها، وأصبحت تبحث عن أسواق خارجية لتصريف منتجاتها، لقد كانت الحرب ونتائجها والدعوة إلى إعمار أوروبا سببًا لاستعادة الاقتصاد الأميركي عافيته منذ الأزمة المالية التي عصفت به عام ١٩٢٩».

- **لقد تغيرت كثير من الأمور في ظل الأزمة الحالية التي بدأت سنة ٢٠٠٨م، ولم تعد أميركا قادرة على قيادة العالم بنفس الطريقة وبنفس القدرات السابقة**، وهذا الأمر أثر على

قدرة أميركا على التعافي مما هي فيه من أزمة كبيرة... فمنذ العام ٢٠٠٨م والأزمة تتفاقم ويتسع مجالها، وتجر كوارث جديدة في كل فترة حتى أدت إلى الكساد الحالي، وأدت إلى انخفاض أسعار البترول، وأدت إلى انهيارات في سوق البورصة الحالي كذلك؛ هذا عدا عما أحدثته من كوارث سابقة عند حصولها سنة ٢٠٠٨م .

فكل التقارير الكاذبة التي تصدر عن الساسة الأميركان (بأن الأزمة قد انقضت وتعافت منها أميركا)؛ هي عبارة عن تقارير تخالف الحقيقة، وهي أشبه بتغطية الشمس بالغربال؛ فهناك مؤشرات رئيسة يمكن أن تحدد مدى صدق القول إن أميركا قد تعافت من الأزمة أم لا، ومن هذه المؤشرات:

١- ازدياد حجم الدين الأميركي بطريقة تصاعدية؛ فقد ذكر موقع روسيا اليوم ٤-٢-٢٠١٦م نقلًا عن صحيفة «ذي واشنطن تايمز»: «إن الرئيس أوباما عند استلامه السلطة؛ كان حجم الدين الحكومي ١٠,٦ تريليون دولار، وبعد سبع سنوات من حكم أوباما تضاعف الدين تقريبًا؛ فبلغ معدل ازدياد الدين الأميركي ١٥٠-٢٠٠ مليون دولار أسبوعيًا... ولكن إدارة الميزانية في الكونغرس تتوقع ارتفاع حجم هذا الدين إلى ٣٠ تريليون دولار خلال ١٠ سنوات... ويذكر أن مجلس الشيوخ الأميركي كان قرر في ٣٠ تشرين الأول ٢٠١٥ رفع سقف الدين الحكومي إلى ٢٠ تريليون دولار، وقد صادق الرئيس أوباما على هذا القرار».

٢- ارتفاع معدل البطالة باطراد في كل شهر منذ الأزمة وحتى اليوم؛ فقد ذكر موقع (إيرو نيوز) نقلًا عن وزارة العمل الأميركي ٤-٣- ٢٠١٦م استقر معدل البطالة في شهر شباط م٢٠١٦ عند معدل ٤,٩٪. وذكرت صحيفة الرياض ٨- فبراير ٢٠١٥م: «أعلن مكتب إحصاءات العمل الاتحادي في الولايات المتحدة عن ارتفاع معدل البطالة خلال يناير الماضي بعد وضع المتغيرات الموسمية في الحساب إلى ٧,٥٪ بسبب عودة العديد من العاطلين الذين توقفوا في الماضي عن البحث عن وظيفة إلى سوق العمل، وكان معدل البطالة في ديسمبر الماضي ٦,٥٪ بحسب بيانات الحكومة».

- **إن من الأمور التي تغيرت ولم تعد أميركا- بسببها- قادرة على التحكم باقتصاد العالم** كما كانت تفعل من قبل، ولم تعد عندها القدرة بسبب ذلك على الخروج من هذه الأزمة الخانقة، والتي باتت تهدد اقتصادها واقتصاد العالم بالدمار والخراب:

١- عدم قدرة أميركا على إشعال حروب كبيرة كما كانت تفتعل من قبل؛ في الحرب العالمية بعد أزمة الكساد سنة ١٩٢٩م، وسنة ٢٠٠٣م، بعد هزات الأسواق والانكماش الاقتصادي الذي

أعقبها.

٢- خروج صيحات كثيرة في العالم تطالب بالتخلص من تبعية الدول لأميركا عن طريق تحكمات الدولار؛ مثل روسيا والصين وفرنسا وغيرها...

٣- التوازن النووي في العالم؛ حيث إن أميركا لم تعد قادرة على جر العالم لحروب كبيرة بسبب هذا التوازن النووي...

٤- بروز مناطق اقتصادية منافسة في العالم وخاصة الاتحاد الأوروبي (منطقة اليورو)، والصين حيث أصبحت منافسًا قويًا للاقتصاد الأميركي في الأسواق الداخلية والخارجية.

٥- الأزمات المالية المتعاقبة والحروب المتتالية والتي تسببت في ضعف الولايات المتحدة ونزولها عن مركز التفرد العالمي، وعدم قدرتها على قيادة العالم؛ كما كانت في الفترة التي أعقبت سقوط الاتحاد السوفياتي...

يقول وزير المالية الألماني (شتاينبروك) في بيان حكومي رسمي: "إن الولايات المتحدة الأميركية ستخسر تدريجيًا مكانتها كدولة عظمى على الصعيد المالي، وإن الدولار الأميركي سيفقد مكانته يومًا بعد يوم أكثر مما مضى، وإن الحكومة الأميركية ارتكبت أخطاء فاحشة في سياساتها الاقتصادية والمالية».

يقول (ديفيد وركر) كبير مفتشي الحكومة الأميركية، وهو الممسك بالملف الوطني الأميركي كله: «... إن الولايات المتحدة الأميركية تقف الآن على حافة الهاوية، وذلك في صورة سياسات وممارسات لا تطيقها البلاد تسببت في العجز الشديد في الميزانية، والنقص الحاد في الرعاية الصحية، وتزايد التزاماتها العسكرية الخارجية مما يهدد باندلاع أزمة طاحنة... إن وضع البلاد يشبه وضع روما القديمة قبل احتراقها وانهيارها... فعلى مدى أكثر من نصف قرن، كان الدولار الأميركي قويًا؛ لأنه كان يمثل ٤٠٪ من الناتج الاقتصادي العالمي. أما الآن فقد تغير الحال، إذ لا يمثل الاقتصاد الأميركي اليوم إلا ١٠٪ من الناتج الاقتصادي العالمي»

أما الخبير الفرنسي (إيمانويل تود) في كتابه (ما بعد الإمبراطورية) يقول فيه: «... إن الولايات المتحدة أصبحت مشكلة بالنسبة للعالم، بعد أن كنا نراها تقدم الحل لمشاكله، وكانت تضمن الحرية السياسية والنظام الاقتصادي خلال نصف قرن مضى، أما اليوم فقد بدأت تظهر كعامل فوضى... فهي تستفز اليوم دولًا كالصين وروسيا، وتحتم على العالم أن يعترف بأن هناك دولًا تمثل محورًا للشر، وتضع حلفاءها في موقف حرج باستهدافها المناطق المجاورة لهم التي لهم

فيها مصالح حيوية كاليابانيين والأوروبيين».

فمثل هذه الأسباب وغيرها جعلت من الصعب على أميركا أن تصدّر أزماتها الاقتصادية إلى الخارج تصديرًا كاملًا كما فعلت من قبل في أزمة ١٩٢٩م، وربما استطاعت تحميل العالم بعض شرور تلك الأزمات عن طريق تحكمات الدولار وسندات الخزينة الأميركية، وعن طريق التحكمات السياسية للدول الضعيفة في العالم الإسلامي... ولكن كل هذه الأمور لا تستطيع أن ترحّل الأزمة ترحيلًا كاملًا كما فعلت من قبل، بل إنها تستطيع أن تخفف قليلًا من شرور هذه الأزمة على الاقتصاد الأميركي... لهذا السبب وقفت أميركا عاجزة هذه الأيام عن القضاء على هذه الأزمة (م٢٠٠٨)، وما زالت تتمدد وتتسع ويزداد بسببه الدين الخارجي والداخلي، وتزداد معدلات البطالة ويعم الانكماش الاقتصادي... وقد أثر ذلك على هيبة الدولار لدرجة أن دولًا عديدة صارت تدخر الذهب كاحتياطي عوضًا عنه، وخوفًا مما هو آتٍ في المستقبل القريب...

وأمام هذا الواقع الاقتصادي المتردي، وفي خضم هذه الأمور المتتابعة الخطيرة صدرت تصريحات عديدة من قبل ساسة واقتصاديين كبار، تدق ناقوس الخطر **بقرب حدوث انفجار أو انهيار اقتصادي عالمي شامل**، يحدث أثرًا سيئًا على كل مناحي الحياة، وتكون له ردات فعل أو ارتدادات جانبية مدمرة في كل أرجاء المعمورة أخطر وأشد مما جرى سنة ١٩٢٩م وسنة ٢٠٠٨م ، لدرجة أن بعض هؤلاء الاقتصاديين والساسة قد حذر من انهيار كامل يبدأ أولًا في أميركا، ثم يمتد إلى كل أنحاء المعمورة، وتعاني منه البشرية سنوات طويلة، وربما لا تستطيع أن تقوم من حفرته إلا بالتخلي نهائيًا عن هذا النظام الرأسمالي الشرير. **ومن هذه التحذيرات والأقوال:**

- ما حذر منه صندوق النقد الدولي في نهاية سنة ٢٠١٤م من «خطر وقوع أزمة اقتصادية عالمية جديدة، مشيرًا إلى أن مخاطر حدوث هذه الأزمة عادت من جديد خلال الأشهر الماضية، الأمر الذي دعا الصندوق لتخفيض توقعاته بشأن نمو الاقتصاد العالمي خلال العام الجاري بمقدار نقطة مئوية إلى ٣,٣٪، كما خفض من توقعاته بشأن نمو الاقتصاد العالمي في العام المقبل بمقدار ٠,٢ نقطة مئوية إلى ٣,٨٪ من إجمالي الناتج المحلي، وربما يكون تحذير صندوق النقد الدولي من هذه الأزمة سببه الرئيسي مخاوف من حدوث كساد... ويدعم هذه المخاوف أن البروفيسور « أوليفييه بلانشار» كبير خبراء الاقتصاد في الصندوق أشار مؤخرًا إلى أن النمو العالمي يمضي بدرجة متوسطة، وأن هناك خطر جمود التعافي في منطقة اليورو، وأن يزداد ضعف الطلب، وأن يتحول التضخم المنخفض إلى كساد».

- ما ذكره (جيم ريكاردز)؛ (مستشار التهديد المالي والحرب غير المتماثلة لكل من

البنتاجون ووكالة الاستخبارات المركزية الأميركية CIA والمستشار المالي في مجال الاستثمار المصرفي الدولي، وأحد العقول المدبرة لبورصة «ناسداك» الأميركية التي تعد من أكبر البورصات حيث تتعامل مع ٣٢٠٠ شركة مدرجة بها)، قال لصحيفة «ماني مورنينغ» الأميركية: «إن الولايات المتحدة ستدخل أحلك فترة اقتصادية في تاريخها، وسينهار اقتصاد أولى الدول في العالم... وحذر «ريكاردز» من هذا الانهيار، والذي سيبلغ حجمه ١٠٠ تريليون دولار. وقال: «الجميع يعرف بأن لدينا مستوى خطيرًا من الديون، والجميع يعرف بأن البنك الفيدرالي قد طبع بتهور تريليونات من الدولارات، وأن هذه لم تعد أسرارًا بالنسبة لأحد، ولكن الجديد هو أن كل الدلائل تشير إلى أن الأمور قد اقتربت جدًا من بلوغِ منتهاها... واستند في تصريحاته على «مؤشر البؤس»، وهو المؤشر الذي تم إنشاؤه قبل عدة عقود كعلامة تحذير فريدة من نوعها لتحديد مدى اقتراب أميركا من انهيار اجتماعي؛ حيث يعمل هذا المؤشر ببساطة من خلال إضافة معدل التضخم الحقيقي إلى معدل البطالة الحقيقية. ويعتقد «ريكاردز» أن البنك الاحتياطي الفيدرالي يتعمد تغيير طريقة احتساب مؤشر البؤس على مر السنين؛ ليستخدم المؤشر عمليًا في التستر على الحجم الحقيقي للمشكلة... وتوقع: «أن تظهر المرحلة الأولى من خلال انهيار سوق الأسهم فجأةً بنسبة ٧٠٪، وهو الأمر الذي لن يشعر أحد من الخارج بقدومه». وأضاف: «سوف يصبح من الواضح أنه ليس حادثًا مؤقتًا، وإنما انهيار منهجي في الاقتصاد نفسه، وعند ذلك سوف يصبح الوضع خطيرًا جدًا، ولن نستطيع انتشال أنفسنا منه».

- يقول الكاتب الأميركي (تود وود) الاقتصادي الشهير؛ في مقال له في صحيفة (واشنطن تايم) الأميركي ٢٠١٥/٥/٩م: «إن الاقتصاد الأميركي يقف على شفا الانهيار، وإن الحالة الراهنة للاقتصاد الأميركي مزعجة حقًا، فهناك ديون أجنبية على أميركا تقارب (٢٠) تريليون دولار، وفي نفس الوقت يزداد الدين الأجنبي المستحق على الولايات المتحدة بوتيرة سريعة جدًا... « وختم تود مقاله قائلًا: «إن واشنطن ربما تستفيق قريبًا لتجد نفسها في عالم - وقد أصبحت مفلسة فيه – ووصف تود الولايات المتحدة بأنها (مكسورة)، لافتًا إلى أن الشيء الوحيد الذي يحافظ على الاقتصاد الأميركي في الوقت الحالي هو (الاحتياطي الفدرالي) الذي تدخّل للإبقاء على أسعار الفائدة عند مستويات منخفضة...».

- نقل موقع العربية نت في ٢- ٦-٢٠١٥ عن (CNN) قالت: «حذر باحث اقتصادي معروف (نوريل روبيني؛ وهو أستاذ الاقتصاد في جامعة نيويورك)، الذي لقب بـ (دكتور الكوارث) بتوقعاته الدقيقة التي تستبق عادة الكوارث المالية والاقتصادية الكبرى في العالم، وبينها ركود عام ٢٠٠٨م من جملة عوامل قال إنها تتفاعل في الأسواق العالمية حاليًا، وقد تؤدي

إلى ظهور أزمات جديدة على صلة بمستويات السيولة النقدية المتوفرة... « وأضاف روبيني أن «السيولة تعتبر عصب حياة الأسواق المالية، وتقاس بمدى سهولة بيع المستثمرين للأسهم والسندات مقابل نقود سائلة، لكن عندما يخاف المستثمرون من بيع أسهمهم، ينتشر القلق في الأسواق، مما قد يقود إلى انهيارها... « الأزمة التي تعيشها الولايات المتحدة اليوم، هي أزمة اقتصادية، والدين العام الذي في ذمتها ليس فقط للأفراد والحكومات المحلية والشركات والبنوك، بل باتت تمتد إلى دول عالمية، من أهمها الصين التي لها دين عند الحكومة الأميركية يقدر بنحو ٣,٢ ترليون دولار. ثم يختم مقاله فيقول: «هذا هو الواقع الاقتصادي للولايات المتحدة الأميركية، ويمكن لنا أن نتصور كيف سيكون الانهيار قاسيًا بحال أعلنت الحكومة الأميركية عن إفلاسها، ولا أعتقد أن هذا اليوم ببعيد».

- ويقول (أولريش شيفر) صاحب كتاب (انهيار الرأسمالية) – صدر سنة ٢٠١٠م: (... إن العالم سيعيش في الأيام المقبلة حقبة تتسم بمعدلات نمو سلبية؛ أي بتراجع مستويات الإنتاج بنحو مطلق وعنيف. فالمخاطر التي تحفُّ بالاقتصاد العالمي فاقت كل المخاطر التي خيمت عليه في سابق الزمن ... إن مستقبل النظام الرأسمالي يتوقف على مدى التغيير الذي سيطرأ على الأخلاقية السائدة في المجتمع... أما إذا تجاهل المجتمع هذه الحقيقة؛ فإن اقتصاد السوق معرض للمصير نفسه الذي تعرضت له الاشتراكية (الانهيار والاختفاء عن الوجود).

- أما (البروفسور عبد الحي زلوم)؛ في كتابه المشهور (نذر العولمة) صدر سنة ١٩٩٨م فيقول: «يقول الاقتصادي الشهير (جورج سوروس): قبل أقل من ستة شهور كان النظام المالي العالمي على شفير الهاوية... وكان ذلك النظام لا يبعد سوى أيام قليلة عن الانهيار التام... وإني أخشى أن تؤدي النتائج السياسية الناجمة عن الأزمات المالية الأخيرة إلى انهيار النظام الرأسمالي برمته..».

إن هذا الواقع الاقتصادي المتردي، والكوارث الاقتصادية المدمرة، والمؤشرات والنذر المتوقعة - والتي يخبر بها كبار الاقتصاديين في العالم - خلال السنوات القليلة القادمة؛ **لتقودنا إلى مجموعة حقائق أخبرنا بها رب العزة جل جلاله منها :**

١- إن الله عز وجل ينتقم من هذه القوى الجبارة ومن أموالها؛ بسبب تسخيرها في حرب أمة الإسلام: يقول الحق تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنفال ٣٦؛ فقد أنفقت أميركا وأوروبا وروسيا والصين التريليونات من الدولارات في حرب الإسلام للحيلولة دون عودة دولة الإسلام إلى أرض الواقع، فأتى الله عز وجل

بنيانهم من القواعد، حيث ضربهم في أموالهم، التي يسخرونها في حرب الله ورسوله وأمة الإسلام؛ قال تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ٢٦ النحل، وبعد هذا الانتقام الإلهي من الكفر والكافرين ينصر الله عز وجل دينه، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الروم ٤٧

٢ - من خلال التمعن والنظر في واقع هذه النظم الوضعية الوضيعة، وفيما تجلبه على البشرية من آفات عظام، والنظر في منهج الله عز وجل وأحكامه النورانية الهادية المستقيمة نقول: إن القادر على إنقاذ البشرية مما هي فيه من شقاء وتعاسة وضنك ومشقة وانحلال خلقي وغير ذلك من آفات كبيرة – إنما هو فقط منهج الله عز وجل، أي الإسلام ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ النساء ١٢٥ ، وقال: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾١٢٥ طه

٣- إن الله عز وجل يسخر جنوده وآياته وسننه لهدم الكفر وأعوانه، ورفع المؤمنين الصادقين المخلصين، وتظهر آياته في الآفاق، وفي النظم والمبادئ والأفكار، وفي بني الإنسان ليتبين لهم ما هو الحق وما هو الباطل ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت ٥٣

٤- إن هذه هي سنة الله تبارك وتعالى في كل بناء يقوم على غير تقوى من الله عز وجل ورضوان، وإن السنوات القليلة القادمة - بإذنه تعالى - هي سنوات انهدام الكفر، ومبادئه وقواه المادية والمعنوية التي يسخرها في حرب الإسلام، وانتصار الإسلام – دين الله تعالى- ليظهر على الدين كله؛ على دين أميركا وأوروبا والصين وكل الدول الكافرة قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الصف٩. وقال عليه الصلاة والسلام :»**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل و النهار، و لا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلًا يذل به الكفر** رواه الإمام أحمد في مسنده.❑

بسم الله الرحمن الرحيم

إشكاليةُ هجرةِ المسلمين إلى الغرب
(دوافعُها، خطورتها، تداعياتها) (٣)

صالح عبد الرحيم – الجزائر

٤- ثغرةٌ في ثقافة المسلمين لا بدَّ من سدِّها

يُضاف إلى ذلك كله مشكلةٌ جزئيةٌ هي وجودُ شباب الدعوة في المهجر. أي وجودُ **حَمَلة عبء إقامةِ دولة الخلافةِ في بلاد المسلمين** في المهجر، وهي ثغرة لا بد من سدها. فإذا كانت الهجرة إلى بلاد الكفار من أجل الاستيطان والعيش فيها على الدوام تصطدم - في حق المسلمين عمومًا - مع كونهم مسلمين، وذلك من حيث إن مَن سافر منهم للعيش مع الكفار على الدوام يكون بلسان الحال قد قرر أنه ليس معنيًا بعملية التغيير ولا بقضايا وهموم المسلمين وعلى رأسها إعادة الخلافة (إلا استثناءً)، فإن مكوثَ المسلمين من حـملة الدعوة في بلاد الإسلامِ من أجل إقامة الدولة يكون أوجب. فالصواب أنه **يجب أن لا يكونوا خارجَ البلاد الإسلامية إلا استثناءً**، وهي حالات ثلاثة لا غير. علمًا أن هؤلاء هم مَن عزم وقرر أن يكون **حارسًا أمينًا للإسلام**. وإنا لا نرى ذلك إلا عزمًا صادقًا على التلبس بعملية التغيير في بلاد المسلمين، أي على العمل حيث يلزم لمعالجة قضيةِ المسلمين الأولى في هذا الزمان، وهي استئناف الحياةِ الإسلاميةِ بإقامة الخلافة. وبما أن القضية هي **استئناف الحياة الإسلامية** فمعنى ذلك أن المقصود بالعمل (من حيث المكان) إنما هو حتمًا البلاد الإسلامية، وذلك من أجل تحويلها إلى دار إسلام بإعادة الخلافة فيها (أولًا)، وهي البلاد التي كانت محكومةً بالإسلام، ثم زال عنها حكمُ الإسلام بعد ذهاب دولة الخلافة، وهي ليست لندن وباريس فضلًا عن أماكن أبعد؟؟ **فمن زاوية وجوب التلبس بالعمل لتغيير واقع الأمة - لا من غيرها من الزوايا - يجب النظرُ لموضوع الهجرة الذي نحن بصدد معالجته الآن.**

أما الحالات الثلاثة الاستثنائية التي قد تبرر وجودَ المسلمين في غير البلاد الإسلامية فهي:

١- **وجود عابرٌ ظرفي مؤقت** في بلاد الكفار من أجل تعلمٍ أو طلب علاجٍ أو استقدامِ بضاعةٍ أو بيعِها (في بلاد الغرب مثلًا) أو استرزاق مؤقت أو غير ذلك مما ذُكر آنفًا من أحكامٍ ضَبط بها فقهاءُ السلف شروطَ السفر وهجرةِ المسلمين إلى غير البلاد الإسلامية (أو الخروج من دارِ الإسلام حال وجودها). وهو ما نراه ينطبق عليهم اليومَ أيضًا رغم انتفاء

وجود دار الإسلام، بحكم أن المنطلقَ لاستئناف الحياة الإسلامية وإقامة دولةِ الإسلام وتحويلِ الدار من دار كفرٍ إلى دار إسلامٍ – **وهو الأمر الذي له الأولوية العظمى في حياة المسلمين اليومَ** - يجب أن يكون البلادَ الإسلاميةَ ولابد، وهذا معروف عند حمـَلة الدعوة. علمًا أن الأولويةَ في كل ذلك (أي في وِجهة السفر إذا كان ولابد) هي حتمًا البلاد الإسلامية المختلفة إن كان ذلك ممكنًا (باعتبار الغرض من السفر). ونعيد هنا ذكرَ بعضِ ما من أجله قد يذهب المسلمُ: جلبُ مالٍ أو استقدامُ سلعةٍ أو تجارةٍ أو تحصيلُ علمٍ أو خبرةٍ، أو السفرُ بغرض التداوي أو النزهة أو الاستكشافِ أو الاطلاعِ على أعمال وأحوالِ الشعوب وإنجازاتهم في البلاد المختلفة (مما قد يصب في خدمة الأمةِ الإسلامية ولو بشكل من الأشكال)، فلذلك ضوابطُ شرعية من الفقه معروفةٌ من أيام الدولة الإسلامية الأولى، فلم يكن المسلمون يعيشون بمعزلٍ عن العالم، وإنما كانوا دائمي الاحتكاك مع غيرهم من الشعوب والأمم في بلادهم وفي بلاد غيرهم. وهذا الوجود الظرفي العابر لا يعتبر أصلًا من معنى ما نحن بصدد معالجته، وهو ليس من الهجرة المقصودةِ في هذا الموضوع أصلًا.

٢- **الهروبُ من الموت أو التنكيل والبطش من الحكام الظلَمَة، أي من الظلم الشديد الذي قد يُفضي إلى الهلاك**، مع الأولوية دائمًا (في الوِجهة) للبلاد الإسلامية الأخرى وهي واسعة، فيصح عندئذ أن يغير المسلم موطنَه - ولو إلى بلاد الكفار - مع اصطحاب نية الرجوع إلى البلاد الإسلامية متى انتفت الحاجةُ (وليس شرطًا أن يعود إلى السودان مَن ذهب من السودان مثلًا، فيمكن أن يعود إلى غيرها من بلاد المسلمين). وهنا نفتح قوسًا لنقول: يجب ألا يخفى على حَمَلة الدعوة أن من بين أساليب الكفار في تثبيت أركان حكم عملائهم لإدامة قبضتهم على بلدان المسلمين، **قسوةُ الحكام العملاء للاستعمار على شعوبهم**، وتحديدًا على حَمَلة الدعوة ممن يكافحونهم ويناوئونهم سياسيًا، وذلك بغرض دفع الفاعلين سياسيًا (وحتى المثقفين والمتعلمين من أبناء الأمة عمومًا) إلى طلب اللجوء في أية دولةٍ من دُول الغربيين (حيث الحريات وحقوق الإنسان!!)، وبذلك يتم احتضانهم وتحييدهم وبالتالي احتواؤهم وإبعادهم عن ساحات الصراع، ولربما يجري بعد ذلك كسبُ عقولهم وقلوبهم بإطالة مكوثهم بينهم، ولنا من هؤلاء أمثلةٌ كثيرة من المسلمين نترفع عن ذكرها ممن كانوا أو مكثوا طويلًا - أو هم اليومَ - في معظم العواصم في الغرب بين ظهراني أعداء الله ورسوله من الكفار الغربيين.

٣- **التكليف من القائمين على الدعوة لغرض يقتضيه حملُ الدعوة**. فقد يُكلَّف شخصٌ أو أشخاصٌ للمكوث أيامًا أو أشهرًا أو سنواتٍ من أجل القيام بمهمات معينة (لا ندخل في تفاصيلها)، وهذا هو من قبيل من يُعينهم وليُّ الأمر وهو الخليفة بوصفه الحاكم الشرعي في دولة

المسلمين للقيام بمهمات كسفراء أو خبراء أو مبعوثين أو غيرِ ذلك في غير دار الإسلام، فيقاس عليه.

فهذه ضوابط نطرحها بين أيدي حمَلَة الدعوة من أجل إدراك خطورة المسألة. إلا أن ما نريد الإشارةَ إليه تحديدًا هو أنه **ينبغي الصدع للأمة عمومًا بالحكم الشرعي في هذه المسألة الخطيرة بما يفند الانفلاتَ في هذا الشأن الخطير**، ثم أن يجريَ **التـزامُ المسلمين وشبابِ الدعوةِ** تحديدًا بالبقاء والعيشِ في البلاد الإسلامية والمكوثِ فيها مهما كانت الظروف. فالعزيمة من أحكام الوضع في وضع هؤلاء، أي المسلمين عمومًا ومنهم خاصةً **مَن تلبس بالعمل الجاد لإقامة فرض الخلافة في بلاد المسلمين**، هو العيش في بلاد المسلمين، والرخصةُ هي المغادرةُ والهجرةُ ضمن شروط، وهي الحالات الثلاثة المذكورةُ لا غير.

بقي أن نشير إلى عدةِ أمور ومسائل أهمها:

١- إنه لا يُستفاد من هجرة المسلمين أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحبشة في بداية الدعوةِ في مكة جوازُ الإقامة عند الكفار اليومَ في أوروبا وأميركا وكندا وأستراليا، كما قد يزعم من يريدها تبريرًا لبقائه في الغرب! ذلك أنه لم يكن هنالك دار إسلام ولا بلاد إسلامية وقتئذٍ، فضلًا عن كون فرارِهم إلى الحبشة كان ظرفيًا بسبب بطش كفارِ قريش فيدخل في الاستثناء الثاني، كونهم اصطحبوا معهم نيةَ اللحاق بالرسول فور حصولِ التمكين، وهذا ما كان.

٢- يَسقُط كذلك مع هذا البيان قولُ من يُسقِط الأحكامَ الشرعيةَ التي تُجيز التعيينَ أو التكليفَ **من قِبل دولةِ الخلافة** (حال وجودها) أي من قِبل الحاكم الشرعيِّ في الإسلام للسفراء والممثلين والخبراء والدبلوماسيين وغيرهم من أصحاب الإذن بالسفر إلى خارج البلاد الإسلامية كطلاب العلم أو جالبي الخبرات، **على الدول الوطنية العميلة الحالية**، فيجيزون بذلك بقاءَهم في بلاد الكفار والعيشَ فيها بناءً على طاعة ولي الأمر، وهي زلة ولاشك، كون هذه الكيانات التي هي صنيعةُ الغرب الاستعماري (هي وحكامها) فاقدة للشرعية في الشريعة الإسلامية.

٣- الأصل في بلاد المسلمين هو أن تكون زاخرةً بكل ما يرغب فيه البشرُ من الخيرات والخبرات، والعلومِ في شتى المجالات، فيكون الأصل إذًا هو مجيء غيرِ المسلمين إلينا من أجل العلاج والتعلم والخبرةِ والتجارة والصناعة، وشراءِ الغذاء والسلاح وغير ذلك، وليس العكس! فإذا رأوا ما عندنا من حضارة ومدنيةٍ رغبوا في الإسلام وأقبلوا عليه وصاروا منا وأقاموا بيننا! فنسأل الله أن يَلطُف بحالنا!

٤- نشأ عند مَن تلبس بالعمل من أجل استئناف الحياة الإسلامية حتميةُ إبراز الفرق بين مصطلح «**البلاد الإسلامية**» ومصطلح «**دار الإسلام**» (الموجودين في الفقه منذ نشأة دولةِ المسلمين)، فصار لابد من التذكير بمعاني هذه المصطلحاتِ الدقيقة كما يلي:

- **المصطلح الأول: البلادُ الإسلامية (ومنها البلاد العربية)، ويقابلها في المعنى غيرُها، أي بلاد الكفار.** وهي - أي البلاد الإسلامية - كلُّ أرض حكمها الإسلام يومًا وجرى فيها تطبيقُ الشريعة وتنصيبُ حكامها من قبل خليفةِ المسلمين، سواء فتحت عنوةً أو صلحًا. ومنها أيضًا البلادُ التي أسلم أهلها عليها فضُمَّت إلى بلاد المسلمين وحُكمت بالإسلام. ويبقى اعتبارُها كذلك حتى لو تحولت إلى دار كفر، أي حتى (مثلًا) لو استردها الكفار منهم بغزو أو احتلالٍ أو تقسيم أو غيره، كفلسطين والهند واليونان والأندلس وقبرص وبلاد البلقان كلها وجنوب السودان وأرض الشيشان وأجزاء كبيرة من بلاد الصين وغيرها.

- **المصطلح الثاني: دارُ الإسلام وما يقابلها أي دار الحرب أو دار الكفر.** وهنا في تعريف دار الإسلام ودار الكفر (أو دار الحرب) لا بد من وقفة:

قال ابن القيم : قال الجمهور: دارُ الإسلام هي التي نزلها المسلمون وجرت عليها أحكامُ الإسلام، وما لم تجرِ عليه أحكامُ الإسلام لم يكن دارَ إسلام وإن لاصقها، فهذه الطائف قريبة إلى مكة جدًا ولم تصر دارَ إسلام بفتح مكة.

ومما ذكر علاء الدين الكاساني (الحنفي ت ٥٨٧هـ) معللًا قولَ **القاضي أبو يوسف** (ت ١٨٢هـ) **ومحمد بن الحسن الشيباني** (ت ١٨٩هـ) كما **ذكر السَّرَخْسي** (الحنفي ت ٢٨٦هـ)، قولُه: إن كلَّ دارٍ مضافةٌ إما إلى الإسلام وإما إلى الكفر، وإنما تضاف الدارُ إلى الإسلام إذا طُبقت فيها أحكامُه، وتُضاف إلى الكفر إذا طبقت فيها أحكامُه، كما تقول الجنة دار السلام والنار دار البوار لوجود السلامة في الجنة والبوار في النار، ولأن ظهورَ الإسلام أو الكفرِ بظهور أحكامهما. فجعل **الكاساني** مناطَ الحكمِ على الدار هو نوع الأحكام المطبقةِ فيها.

وقال ابن قدامة الحنبلي (ت: ٦٢٠هـ): ومتى ارتد أهلُ بلدٍ وجرت فيه أحكامُهم صاروا دارَ حربٍ في اغتنام أموالهم وسبي ذراريهم الحادثين بعد الردة، **وعلى الإمام قتالهم،** فإن أبا بكر الصديق قاتل أهلَ الردة بجماعة الصحابةِ ولأن الله تعالى قد أمر بقتال الكفار في مواضع من كتابه، وهؤلاء أحقهم بالقتال؛ لأن تركَهم ربما أغرى أمثالَهم بالتشبه بهم والارتدادِ معهم فيكثر الضررُ بهم. وإذا قاتلهم قُتل من قُدِر عليه ويُتبع مدبرُهم ويُجهَز على جريحهم وتُغنم أموالهُم، وبهذا قال الشافعي.

فيُفهم من مجمل هذه الأقوال ما قاله غيرُ واحد من علماء السلف من غير هؤلاء المذكورين أعلاه، وهو أن يجريَ فيها **تحكيمُ شريعةِ الإسلام مع تحقُّقِ الأمان بسلطانِ المسلمين لتكون دارَ إسلامٍ، وإلا فلا.** فكل البلاد غير دار الإسلام تعتبر دار حرب، وتأخذ أحكامَ دار الحرب (وهناك من زاد حالة خاصة، وهي دار العهد، وهو أن نكفَّ عن قتالهم

لاعتباراتٍ معينة مدةً محدودةً من الزمن مقابل عوض أو بدونه، فهي من معنى دارِ الحرب).

أما أكثرُ الفقهاء المعاصرين فهم يرون (كما جاء على لسان أحد الباحثين) أن بلادَ المسلمين تتفاوت اليومَ في اعتبارها دار إسلام أو لا!! فالقليلُ منها يحتكم إلى الشريعة الإسلامية في أكثر تشريعاته. وأكثرُها يحصر التزامَه بالأحكام الشرعية في مسائل الأحوال الشخصية منها (أي في علاقات الزواج والطلاق والميراث... لا غير). وهناك عدد آخر ولو كان قليلًا يرفض (!) الخضوعَ للأحكام الشرعية حتى في مجال الأحوال الشخصية، وبالتالي فإن دار الإسلام بالمعنى الفقهي المعروف (من الفقه الإسلامي والثقافة الإسلامية) لا تنطبق على كثير من الدول القائمة اليوم في البلاد الإسلامية. **لكن هناك ميل من بعض الفقهاء** (من المعاصرين) إلى اعتبار جميعِ البلاد الإسلامية وهي **البلادُ التي تقطنها أكثريةٌ إسلامية** دارَ إسلام، بحيث يجب في نظر هؤلاء إنزالُ أحكامِ دارِ الإسلام عليها، مع السعي لدى الحكامِ إلى تطبيق جميع الأحكام الشرعية!! وانطلاقًا من هذا الواقع فإن الحكامَ في هذه الدول هم الذين من شأنهم أن يحددوا دارَ الحرب أو دار العهد!! وقد اتفق جميع حكام المسلمين **بعد دخولهم في مواثيق الأمم المتحدة** على اعتبار العالَمِ كلِّه **دارَ سلمٍ** واعتبارِ دولِ العالَمِ كلِّها دولًا معاهِدةً وليست دارَ حربٍ!! (نقول: وهذا دون شك مرفوض شرعًا، وهو انبطاح كامل أمام سطوة وهيمنةِ المنظومة الرأسماليةِ الغربية على العالم).

وأما رأيُ (مدرسة) يوسف القرضاوي، وهو من بين الآراء التي يُراد لها أن تكون الأكثر شعبيةً وانتشارًا، فإنه يتمثل في أن كل بلادِ الدنيا بالنسبة للمسلمين هي اليومَ **بلادُ دعوة**، والفقهاء يقسمون العالم إلى «**أمة الدعوة**» و«**أمة الإجابة**» وكل العالم يُعتبر أمةَ محمد ﷺ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾، فهو جاء يخاطب العالمين جميعًا، فبعضهم استجاب له وهذه أمةُ الإجابة، وبعضهم لا زال في مرحلة الدعوةِ وهذه أمةُ الدعوة، ودارُ هذه البلاد (أي التي لم يَستجب أهلُها) هي دارُ دعوةٍ من غير كلام! (وهكذا نرى كيف تختفي عند أصحاب هذه المدرسة كلُّ المصطلحات الشرعية).

إلا أنه عند مباشرة العمل من أجل الانطلاق بالدعوة والارتكاز وإقامة الدولةِ، كان لا بد من أن يُتخذ **بعضُ البلاد الإسلامية (غيرِ المحتلة) مجالًا لتركيز العمل**، وذلك باعتبار مدى وجودِ العمل وكثافته وقوةِ التفاعل فيه، وباعتبار وجود المقوماتِ وإمكانية قيام كيانِ الدولة وتمكُّنها وضمانِ حياتها واستمرارها في هذه الرقعة في البداية - ولو بضم بعضها إلى ما يجاورها من أقطار – بحيث يتحقق بها جميعًا إمكانيةُ الارتكاز حقيقةً وقيامُ كيان المسلمين أي دولة الخلافة واستمرارُها (ثم الانطلاق في ضم البلاد الإسلامية الأخرى). فيجري في كل قطرٍ **من هذه**

الرقعة حملُ الدعوة بتمامه، ومنه أعمال النصرة. علمًا أنه لا يتأتى الكفاح السياسي في غير البلاد الإسلامية ولا طلبُ النصرة في بلاد الكفار (كألمانيا أو السويد أو إنكلترا مثلًا) وذلك من باب أولى.

٥- والسؤال المُحيِّر هو: كيف هو وضع المسلمين ممن وُلد ونشأ في الغرب، أو ممن اعتنق الإسلامَ من أهل تلك البلاد، **وتحديدًا مَن صار منهم مدركًا لقضية المسلمين في هذا الزمان وواعيًا على وجوب العملِ لإقامة الدولةِ واستئنافِ الحياة الإسلاميةِ في بلاد المسلمين**، بعدما صار المسلمون أجيالًا في بلاد الكفار وواقعًا مفروضًا؟؟ فهل يُطلب من هؤلاء أيضًا أن يكونوا في البلاد الإسلامية على سبيل الوجوب؟ والجواب على ذلك أنه **لا يصح أبدًا أن يرضخ أو يستسلم حمَلةُ الدعوة لواقعٍ فرضه الكفارُ على المسلمين**، وقد ثبت أن الهجرةَ - كظاهرةٍ سياسيةٍ وبالشكل الذي نتحدث عنه تحديدًا - إنما هو من تخطيط دولِ الغرب في ضرب الإسلام والمسلمين!! فلا يصح مطلقًا أن تتحمل الدعوةُ تبعاتِ واقع وجودِ هذه الجاليات من المسلمين في بلاد الكفار بهذا الشكل، ولا أن تُكيَّفَ النظرةُ لقضية الهجرةِ فضلًا عن أن تُكيَّف أعمالُ الدعوة وعمليةُ التغيير بحسب واقع وأوضاع المهاجرين في الغرب. **فيجب الصدعُ منهم (أي من حَمَلة الدعوة) للمسلمين جميعًا في أقطار الدنيا بالحكم الشرعي** - مهما كانت الظروف - في مسألة الهجرةِ إلى بلاد الكفار ابتداءً، أو مسألةِ البقاء فيها، مُبيِّنين خطورتَها ومصائبَها ونتائجَها وتداعياتِها، كما يجب أن يدرك مَنْ يختار من المسلمين أن **يعيش بشكل دائمٍ** في بلاد الغرب (أصليًا كان أو مهاجرًا) أن واجبَ العمل لإعادة حكم الإسلامِ في بلاد المسلمين – وهو الفرض الأعظم في هذا الزمان - يتناقضُ مع وجوده في بلاد الغرب مستوطنًا بهذا الشكل، إلا أن يكون من أصحاب الأعذار المقبولة والمسوغاتِ الشرعية وهم على العموم كما أسلفنا: إما مَن غلبهم القهرُ في بلاد المسلمين أي ظلمُ الحكام وبطشُهم إلى حد الاضطرار الملجئ، بعد استنفاذ إمكانياتِ التحول إلى بعض البلاد الإسلامية الأخرى، وإما مَن هم من أهل الرخصة في البقاء والمكوث ولو لسنواتٍ وهم أصحابُ المهمات ممن تم تكليفهم من قِبل صاحب الصلاحية في أمر الدعوة وفق الأحكام الشرعية ذاتِ الصلة. وهم الذين **يجب عليهم جميعًا** بعدئذٍ (هؤلاء وأولئك) القيامُ بتكاليف الدعوةِ وتحملُ أعبائها حيثما وُجدوا، ومِن ذلك تَوعيةُ المسلمين (سياسيًا) على ما يُراد بهم وبأمتهم وتثقيفُهم بالإسلام في بلاد المهجر، ومن ذلك أيضًا تحذيرُهم من عواقب طول مكوثهم بين الكفار، ومن الذوبانِ والانخراطِ في حياة الغربيين ومِن كل ما يجب الحذرُ منه في بلاد الغُربة والمهجر. وعليهم خصوصًا تهيئةُ الأجواء في تلك البلاد للفاتحين القادمين لا محالة. فمن معنى **الأمانةِ في حراسة الإسلام وبذلِ الجهدِ في سبيل تحقيق الغايةِ المطلوبة، التي هي استئنافُ الحياة الإسلامية، وإقامةُ دولةِ**

الخلافة، أن يكون المسلم حيث يلزم شرعًا. أما مَن يختار منهم أن يعيش في بلاد الغرب (أو غير البلاد الإسلامية عمومًا) مِن غير مبررٍ أو رخصةٍ فيجب أن يُعلمَ ويُفهَّمَ أنه ولا شك في غير المكان الذي يرتضيه الإسلامُ ويقتضيه حملُ الدعوة الإسلامية. فبهذه الطريقة يجري ضبطُ العمل وتكثيفُه وتركيزُه في المكان المطلوبِ شرعًا حتى تقومَ الدولةُ حيث يجب أن تقوم، فتُحل المعضلةُ عندئذٍ من أساسها، وتُضبط المسألةُ حينئذٍ (وجوبًا) بتنفيذ أحكامِ السياسةِ الخارجيةِ في شريعة الإسلام، الذي يعلو ولا يعلى عليه.

٦- انخراطُ المسلمين في دول الغرب تجاوز مخالطةَ الكفار في مأكلهم وملبسهم ومشاركتَهم في أمور حياتهم، كما تجاوز الدخولَ في الأحزاب السياسية والمنظمات المجتمعية، بل وصل إلى انضمامهم إلى جيوش تلك الدول، التي في كثير من الأحيان يُطلب منها مهام قذرة في بلاد المسلمين، كما هو حاصل الآن في أميركا وغيرها، فهل يتناقض في هذه الحالة إسلامُهم مع ولائهم لأوطانهم ومع انتمائِهم لدولهم تلك؟ بالتأكيد نعم.

٧- لا يخفى على سياسي متابعٍ أن **العالم يسير هذه الأيام نحو عودة دولة المسلمين بوتيرة أسرع من ذي قبل،** وهذا ربما هو العامل الأبرز في تفسير احتدام صراع الغرب مع الأمة الإسلامية إلى الحد الذي نراه اليومَ في بلاد المسلمين. فهل سيكون وجودُ هؤلاء المسلمين واستقرارهم (كجاليات) في بلاد الغرب - **أي في دول عدوةٍ للمسلمين** - عاملًا مساعدًا لتقوية ركائزِ الدولة عند قيامها في بلاد المسلمين (كما قد يتصور البعض)؟؟ نقول: بل لا يخفى على عاقل متابعٍ مدركٍ لما حوله من أوضاع الأمةِ **ولأحوال المهاجرين في الغرب** ما قد يلحق الأمةَ الإسلاميةَ من ضرر قد يأتي - بل يأتي حتمًا - من وجود هذه الجاليات المختلفةِ التصوراتِ والتوجهاتِ واستقرارِها في بلاد الغرب، **أقله تغيرُ وجهةِ نظرِ أفرادها في الحياة** وأكثره ربما فقدانهم أنفسَهم وخسرانهم أهليهم بالارتداد عن الدين (وذلك هو الخسران المبين)، **وانعكاس ذلك على الأمة من حيث توظيفهم من قِبل الدول الكبرى في صراعها مع المسلمين. وقد رأينا كيف جرى توظيفُ النخب السياسيةِ والثقافية والزعاماتِ التي كانت موجودةً في الغرب وتربَّتْ طوال العقود الماضيةِ في أحضانه (من قادة ورموز الحركات العلمانية والليبرالية وحتى الإسلامية والوطنية وغيرها...) خلال «الثورات العربية» الأخيرة (في تونس ومصر وليبيا وغيرها..) وقبل ذلك في العراق، وكيف جاء بها الغربُ في اللحظات المناسبة وألقى بها في الأوساط السياسيةِ في كل البلاد المنتفضةِ والثائرةِ على الأوضاع السيئة التي أوجدها الغرب نفسُه، لتتصدر المشهدَ السياسي في تلك البلدان، بغرض حرف مسار الثورات من أجل استمرار المحافظة على مصالحه وتحقيق مآربه عبر القفز على مطالب الشعوبِ**

المسلمة بتوجيه الأحداثِ واحتواء الصراعات. ولا شك أن هذه الزعامات كانت مهيَّأةً ومتهيِّئةً لمثل هذه الأدوار من خلال رصد التحولات في تلك البلدان بهدف ركوب المطالب وتوجيه التحركات وإجهاض الثورات. وأعضاء الائتلاف السوري مثال واضح في هذا الشأن.

أما أفراد الجاليات المسلمةِ في الغرب عمومًا، فإنه لا يخفى على أحد دخولُ أكثرهم في حالة لا توصف من الضياع السلوكي والانهزامِ الثقافي والتبعيةِ الحضارية، وانفصالُهم عن الأمة فكرًا وشعورًا، **وانحيازُهم سياسيًا إلى مواقف دولِ الغربِ في قضايا الأمةِ الإسلامية، ومنها وأهمها على الإطلاق عودة الخلافة**، وهو محور الصراع مع الغرب اليوم، وانعكاسُ ذلك على البلاد الإسلامية نفسِها فكريًا وسياسيًا، بل واقتصاديًا أيضًا، وذلك بحكم أن هذه الجاليات - **التي لا تكاد تحمِل من هموم الأمة شيئًا** - تعيش «مستقرةً» بـ«أمان وعهد» الكفار وفق نمط الغربيين بين أظهر غيرِ المسلمين تحت سلطة الكافرين والمشركين من ملحدين وعلمانيين، كون أبنائها يحملون (كواقع مفروض) تابعيةَ أو جنسياتِ تلك الدول الغربية، وهو ما يحمل في حد ذاته علاماتِ استفهامٍ كبيرة من ناحية الشرع (ليس هذا محل النظر فيه)، ويغيب عنهم تمامًا إلا من رحم الله وجوبُ استئنافِ الحياة الإسلامية **ووجوبُ العيشِ وفق شريعة الإسلام في ظل دولةٍ تطبق الإسلامَ**، فضلًا عن وجوبِ حمله إلى جميع أنحاء العالم بالطريقة الشرعية وهي الدعوة والجهاد في سبيل الله، الذي تتولاه الجيوش في الدولة. فكيف سيكون إذًا موقفهم عند قيام دولة الخلافة وبعد قيامها، وكيف سيكون موقفُ الغربيين وساستِهم منهم، وهم الذين لا يرقبون في مؤمن إلًا ولا ذمةً؟؟ وهم - أي المهاجرون - في نفس الوقت عرضةٌ لجميع أنواع الضغوطاتِ والتوظيفاتِ بما يخدم دولَ الكفار المستعمرين! فيوجد بينهم اليومَ من يرفض صراحةً بل ويعترض عن بعد - **أي وهو موجود في الغرب** - على تحكيم الشريعة الإسلامية هنا في بلاد المسلمين (فضلًا عن غيرها)، وذلك بالدعوة إلى العلمانية والديمقراطيةِ وإبعاد الدين عن الدولة ومدَنيةِ الدولةِ، فهل يكون مَنْ هذا حالُه مسلمًا (؟)، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء ٦٥].

ومع كل هذا البيان فإننا ندرك أنه لا حل لمشكلة بل معضلة الهجرةِ على أرض الواقع إلا بإقامة الدولةِ في بلاد المسلمين على أساس الإسلام. ولو أن المسلمين اشتغلوا بالسياسة في بلادهم، انطلاقًا من دينهم وعلى أساس هويتهم، لقامت دولـتُهم ولزالت مِحنتُهم.

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج ٤٠]

والحمد لله رب العالمين.❑

مدير (سي آي إيه): من الصعب عودة العراق وسوريا موحدتين تحت سلطة مركزية كما كانتا

شكك مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية جون برينان في إمكانية عودة العراق وسوريا موحدتين تحت سلطة مركزية. وقال برينان في مقابلة نشرها مركز مكافحة الإرهاب التابع للأكاديمية العسكرية في ويست بوينت: "لا أعرف ما إذا كان ممكنًا إصلاح العراق أو سوريا. هناك الكثير من سفك الدماء وتدمير هائل وانقسامات طائفية، إنه توتر محتدم دائمًا. لا أعرف ما إذا كنت سأبقى حيًا لرؤية حكومة مركزية في كلا البلدين لديها قدرة على الإدارة بشكل عادل" .وذكر مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في هذا السياق أنه يمكن أن يتصور إقامة نوع من الهيكل الاتحادي الذي ينظم مناطق بحكم ذاتي، بخاصة أن الأكراد في شمال العراق وفي أجزاء من سوريا أنشؤوا بالفعل دولة بحكم الأمر الواقع. من جهة أخرى، قال برينان إن تنظيمي القاعدة وداعش يتعاونان ضد خصومهما من الحوثيين وقوات حكومة الرئيس هادي المدعومة من قبل التحالف العربي في اليمن، على خلاف ما يحدث في العراق وسوريا حيث يتواجهان، موضحًا "كلما ابتعدنا عن المعقل العراقي والسوري، كلما كان التعاون أكثر احتمالًا بين عناصر القاعدة وداعش وغيره من الجماعات الارهابية". وأكد المسؤول الاستخباراتي الأميركي الرفيع أن تنظيم "داعش" سيظل موجودًا في الشرق الأوسط لمدة طويلة، وسيشكل المقاتلون الأجانب تحديًا للولايات المتحدة يمتد لسنوات عديدة، موضحًا: "أعتقد أن أعداد (المقاتلين) ستكون تحديًا للولايات المتحدة وللحكومات الأخرى على مر السنين". وردًا على سؤال بشأن ما إذا سيبقى تنظيم "داعش" أم لا في حال تم القضاء على "خلافته"، قال برينان إن تنظيم "داعش" سوف "يحتفظ بوجوده في سوريا والعراق على مدى زمن لا بأس به"...❑

دول الخليج تريد أن تسلح المعارضة السورية بصواريخ مضادة للطائرات وأميركا تمنعهم

قال مسؤولون أميركيون، إن انهيار اتفاق وقف إطلاق النار الأخير في سورية زاد احتمال قيام دول الخليج العربية بتسليح المعارضة بصواريخ مضادة للطائرات، تطلق من على الكتف، لمواجهة طائرات النظام وروسيا. وأوضح مسؤول أميركي، مشترطًا عدم الكشف عن اسمه، أن "واشنطن حالت دون وصول كميات كبيرة من أنظمة الدفاع الجوي تلك المحمولة على الكتف إلى سورية ساعية إلى توحيد الحلفاء الغربيين والعرب خلف هدف تقديم التدريب وأسلحة المشاة لجماعات المعارضة المعتدلة مع مواصلة المحادثات

مع موسكو". لكن خيبة الأمل إزاء موقف واشنطن تتصاعد فيما يزيد احتمال ألا تواصل دول الخليج أو تركيا السير وراء الولايات المتحدة، أو تغض الطرف عن أفراد أثرياء يتطلعون لتزويد جماعات المعارضة بتلك الأسلحة المضادة للطائرات، وفق ما نشرته صحيفة العربي الجديد. وفي السياق ذاته، قال مسؤول أميركي إن "السعوديين يعتقدون دومًا أن السبيل الأمثل لإقناع الروس بالتراجع هو ما أفلح في أفغانستان قبل نحو ٣٠ عامًا، وهو تحييد قوتهم الجوية بتزويد المجاهدين بأنظمة الدفاع الجوي المحمولة". وأضاف: "تمكنا حتى الآن من إقناعهم بأن مخاطر ذلك أكبر في يومنا هذا لأننا لا نتعامل مع الاتحاد السوفياتي، وإنما مع زعيم روسي عازم (الرئيس فلاديمير بوتين) على إعادة بناء القوة الروسية ومن غير المرجح أن يتراجع"..❑

البيت الأبيض يجبر الكونغرس على تأخير قانون عقوبات على نظام الأسد

عمل البيت الأبيض من وراء الكواليس لمنع إقرار مشروع قانون اعتمده الحزبان الجمهوري والديمقراطي لفرض عقوبات على نظام الأسد بتهمة ارتكاب جرائم حرب وفظائع ضد المدنيين في سوريا؛ حيث حرص على التأكد من عدم الحصول على تصويت في مجلس النواب، وقد رضخت له القيادة الديمقراطية وسحبت دعمها للتصويت على مشروع القانون في الوقت الراهن. وكان النواب من أعضاء مجلس الشيوخ الأميركي يستعدون لطرح قانون لحماية المدنيين تحت اسم "قيصر سوريا"، وتمريره مع سهولة نسبية لإقراره. ومشروع القانون، الذي سمي على اسم المنشق السوري الذي قدم للعالم مع ٥٥,٠٠٠ صورة توثق التعذيب الممنهج من قبل نظام الأسد والقتل الجماعي، كان لديه أكثر من ٥٠ راعيًا معظمهم من الديمقراطيين قبل أن يبدأ البيت الأبيض عبر العاملين فيه في الشؤون التشريعية بدعوة قادة الكونغرس من كلا الطرفين "الديمقراطي والجمهوري" وحثهم على إرجاء التصويت على القانون. وقد ذكر الناطق باسم رئيس الكونغرس بول ريان لجوش روجين محرر الخبر في صحيفة الواشنطن بوست: إن البيت الأبيض مارس ضغوطًا على قادة النواب الديمقراطيين لسحب دعمهم لتحريك مشروع القانون، وقد استجابوا لهذه الضغوط..❑

تيريزا ماي لصحيفة صنداي تتعهد بإلغاء القانون الذي ضم بريطانيا للاتحاد الأوروبي

قالت رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي لصحيفة صنداي تايمز إنها ستتعهد بأن تجعل بريطانيا "دولة ذات سيادة ومستقلة" بإلغاء القانون الذي ضم بريطانيا للاتحاد

الأوروبي العام المقبل. وتتعرض ماي التي شغلت في السابق منصب وزيرة الداخلية لضغوط من مسؤولي الاتحاد الأوروبي ومستثمرين وأعضاء في حزب المحافظين الحاكم الذي تنتمي له من أجل توضيح مزيد من التفاصيل عن خطتها لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. وخلال كلمة في أول أيام مؤتمر حزب المحافظين السنوي تأمل ماي في تهدئة الانتقادات الموجهة إليها بالتعهد بإلغاء قانون المجتمعات الأوروبية الصادر في عام ١٩٧٢م من النظام الأساسي للدولة، الذي ضم بريطانيا إلى ما يعرف اليوم بالاتحاد الأوروبي. وقالت "إن هذا سيكون أول مرحلة في تاريخ المملكة المتحدة كبلد ذي سيادة ومستقل مرة ثانية. وسيعيد ذلك القوة والسلطة إلى المؤسسات المنتخبة في البلد. وهذا يعني أن سلطة قانون الاتحاد الأوروبي في بريطانيا ستنتهي."..❑

وزارة الدفاع الأميركية تنتج مئات الفيديوهات عن القاعدة في العراق لمتابعة من يشاهدها

نشرت صحيفة صنداي تايمز تحقيقًا بعنوان «مسلسلات وخداع: بيع السلام في العراق»، مبينة أن الأميركيين انتهجوا مهام"خداع" في العراق عبر تسجيلات فيديو مزيفة تروج لنشاطات "القاعدة". وقد دست القوات الأميركية بعض هذه الأشرطة في عدد من الأماكن لتبرير اعتقال من يرغبون باعتقاله، فيما أفادت صحيفة Daily Beast بأن وزارة الدفاع الأميركية تعاونت خلال الاحتلال الأميركي للعراق مع وكالة Bell Pottinger للعلاقات العامة (PR) المختصة في مجال الدعاية السلبية. واشتمل عمل "بيل بوتينجر" ضمن هذه التعاقدات على وضع سيناريوهات لمسلسلات وتقديم تسجيلات مصورة للشبكات الإخبارية العربية وتوزيع فيديوهات للقاعدة بغرض تعقب من يشاهدها. وقالت الصحيفة إن الفريق الإعلامي التابع لوزارة الدفاع الأميركية كان يعد نشرات إخبارية للقنوات الإخبارية المحلية، وقال إن المحتوى كان يصور ويصاغ "ليبدو كما لو كان عربيًا" وقالت الصحيفة، إن التسجيلات كانت تنقل إلى إسطوانات مدمجة ثم تتركها القوات الأميركية "في مناطق الفوضى" بعد مداهمة أهداف، ثم كانت التسجيلات بعد ذلك تستخدم لتعقب مؤيدي تنظيم القاعدة..❑

أردوغان ينتقد معاهدة لوزان التي حجمت تركيا وفرضت عليها التخلي عن أراضيها

قال الرئيس التركي في كلمة له أمام رؤساء الإدارات القروية في أنقرة الخميس ٢٩ سبتمبر/أيلول: "قام خصوم تركيا في الحرب العالمية الأولى بإجبارنا على التوقيع على معاهدة سيفر عام ١٩٢٠م وأقنعونا على التوقيع على معاهدة لوزان عام ١٩٢٣م. لقد

حاول البعض خداعنا بتصوير هذه المعاهدة كانتصار، لكن كل شيء كان واضحًا في لوزان، تخلينا لليونان عن جزر في بحر إيجه، على الرغم من أن الصرخة من هناك تسمع على الشواطئ التركية (قريبة جدًا من الساحل التركي). هناك توجد مساجدنا ومقدساتنا. هذه المشكلة ظهرت بسبب الذين جلسوا خلف طاولة المفاوضات في لوزان ولم يتمكنوا من الدفاع عن حقوقنا". من جانبها اعتبرت وسائل الإعلام التركية هذا البيان بمثابة الانتقاد المستتر لمؤسس الجمهورية التركية مصطفى كمال أتاتورك، الذي وقف وراء توقيع معاهدة لوزان بعد معاهدة سيفر غير المواتية بالنسبة لتركيا. تجدر الإشارة إلى أن معاهدة لوزان للسلام وقعت في يوليو/تموز ١٩٢٣م بين بريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا واليابان واليونان ورومانيا ويوغسلافيا من جهة، وتركيا من ناحية أخرى، ووضعت الوثيقة حدودًا جديدة لتركيا ونظمت بذلك بشكل قانوني عملية انهيار وتفكك الإمبراطورية العثمانية...❑

أنتوني بلنكن: على الأكراد البقاء ضمن العراق الموحد حاليًا

كشف نائب في البرلمان العراقي، عن مضمون رسالة حملها أنتوني بلنكن نائب وزير الخارجية الأميركية إلى مسعود البارزاني رئيس إقليم كردستان بشأن مطالبته المتكررة بالانفصال عن العراق. وقال عبد السلام المالكي إن "٢٨ دولة من بينها أميركا وفرنسا وتركيا وروسيا أبلغت البارزاني بشكل رسمي رغبتها بقاء الإقليم ضمن الدولة العراقية لحين انتهاء تنظيم الدولة من العراق بشكل نهائي، على أن يتم حسم هذا الملف ضمن السياقات الدستورية والقانونية المعتمدة في العراق بعيدًا عن لغة التصعيد أو استخدام القوة". وكان نائب وزير الخارجية الأميركية أنتوني بلينكن زار أربيل في ١٥ ايلول/ سبتمبر الجاري، حيث التقى بمسؤولي إقليم كردستان بينهم رئيس الإقليم مسعود البازراني ورئيس حكومة الإقليم نيجرفان البارزاني. يذكر أن رئيس إقليم كردستان العراق مسعود البارزاني طالب في أكثر من تصريح له بحق تقرير المصير لإقليم كردستان والانفصال عن العراق لإعلان الدولة الكردية، من خلال استفتاء عام يجريه الشعب الكردي، بحسب تعبيره..❑

صبحي الطفيلي: حزب الله يقاتل في سورية خدمة لأميركا وروسيا

شن الأمين العام السابق لـ"حزب الله" الشيخ صبحي الطفيلي هجوماً عنيفًا على قيادة الحزب على خلفية تورطها في الحرب على سوريا، خصوصًا حرب الإبادة في حلب، واصفًا كل من يشارك من الحزب في هذه الحرب بأنه "عميل" للغرب و(إسرائيل). وقال الطفيلي في كلمة له في مدينة بريتال اللبنانية مخاطبًا حسن نصر الله أمس: "مرضك

هو الذي أدخلك في هذه الحروب، حروب بوجه من؟ ولمصلحة من؟"، وأضاف: نحن نقاتل في حلب لخدمة الروس والأميركيين، ليس هناك من شك أن تحالفًا أميركيًا روسيًا يحصل هناك لقتل المسلمين وأطفالهم ونسائهم وهدم بيوتهم، نحن أصبحنا في خدمة من؟ ندعي أننا شيعة فيما نحن بالحقيقة في خدمة الروس، نحن عملاء بل أدنى مستوى من العمالة. وأشار الطفيلي: للإنصاف أخاطب كل شريف وكل مؤمن يسمعني، أن الأمة الإسلامية تتعرض لحرب وعدوان غربي شرس دون مبرر، يقولون إنهم يحاربون الإرهاب وهم كاذبون، فهم من صنعوا الإرهاب، فقط ليحاربونا باسمه، لينهبوا بلادنا باسمه، لافتًا إلى أن حلب تدمر وتباد وتقصف بالطائرات ليل نهار، فإن كان هناك من شريف ومؤمن فليتُب وليعدْ عن غيّه، فلا يكون أداة في يد الأميركيين والروس، ولا يكون خائنًا لأهله ولدينه. وهاجم الطفيلي الحكومة العراقية بشدة أيضًا، مؤكدًا أن الفساد في العراق أشد وأخطر وأخوف من الحرب الأهلية الدائرة فيه، واتهم حكام العراق حاليًا بالفساد...❑

واشنطن مازالت تزود الأكراد بالأسلحة رغم استنكار تركيا

قال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، إن الولايات المتحدة أرسلت طائرتين محملتين بالسلاح إلى مدينة عين العرب (كوباني) السورية. جاء ذلك في كلمة له ألقاها في اجتماع نظمه التجمع الثقافي التركي الأميركي في نيويورك، وحضره ممثلو منظمات المجتمع المدني التركي في الولايات المتحدة الأميركية. وأضاف أردوغان أنه سأل نائب الرئيس الأميركي جو بايدن أثناء لقائه به، حول علمه بشحنة الأسلحة المرسلة إلى كوباني، فأجابه بايدن بعدم علمه بذلك، موضحًا: "قال لي لا أعلم، فقلت: أنا لدي علم". وأشار أردوغان إلى أن الولايات المتحدة أرسلت في وقت سابق ثلاث طائرات محملة بالأسلحة أيضًا إلى كوباني، حيث ذهبت نصف تلك الأسلحة إلى يد تنظيم "داعش"، في حين ذهب النصف الآخر إلى تنظيم "ب ي د"، الجناح السوري لمنظمة "بي كا كا" الإرهابية. وأكد أردوغان أن صبر تركيا نفد مع هجوم غازي عنتاب، "وقررنا التدخل مع المعارضة المعتدلة، وتم طرد داعش من مدينة جرابلس وبلدة الراعي (جوبان باي) السوريتين"، لافتًا إلى أن قوات "درع الفرات" ستمدد نطاق عملياتها أكثر نحو الجنوب.

وتساءل أردوغان مستنكرًا: "كيف لا يستطيع تحالف مكون من ٦٥ دولة هزيمة داعش"، مشيرًا إلى أن عدد عناصر داعش في سوريا ١٠ آلاف، وفي العراق أيضا ١٠ آلاف، وأنه اقترح على الأميركان عدة مرات التعاون معًا؛ لإنهاء تنظيم داعش من المنطقة، وإجباره للبحث عن جحر يختبئ فيه..❑

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾.

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه
عطاء بن خليل أبو الرشته
أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

يبين الله في هذه الآيات ما يلي:

١. بعد أن ذكر الله سبحانه أمور الحج في الآية السابقة ذكر في هذه الآيات بعض أمور القتال، ثم أعاد الله سبحانه ذكر الحج بقوله ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ إلى آخر آيات الحج بعدها.

وقد قرن الله سبحانه في كثير من الآيات ذكر الحج وذكر الجهاد، فبعد ذكره سبحانه ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ البقرة/آية١٥٤-١٥٧ ذكر سبحانه الحج والعمرة ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ ﴾ البقرة/آية١٥٨.

وبعد أن ذكر الله سبحانه آيات الحج في سورة الحج ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن

يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

الحج/آية٢٦-٣٧. بعد ذلك ذكر الله سبحانه آيات في القتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ الحج/آية٣٨-٤١.

وكأن المشقة الحاصلة في أداء مناسك الحج وبخاصة كلما ابتعد الحاج في مسكنه ببلده عن أماكن الحج، كأن هذه المشقة مع المشقة الواقعة في الجهاد تبين الحكمة من ذكر الحج والجهاد متتابعين في معظم الآيات التي ذكرت الحج.

وكأن تكفير السيئات بالحج المبرور والشهادة في سبيل الله تبين العلاقة المهمة بين الحج والجهاد.

حتى إن رسول الله ﷺ حين سألته عائشة رضي الله عنها عن عدم فرض الجهاد على النساء بل على الرجال، وفي هذا مَزِيَّة للرجال قال ﷺ: "**إن عليكن جهادًا لا قتال فيه: حج**

إلى بيت الله الحرام"[1].

ولما حج رسول الله ﷺ السنة العاشرة للهجرة(حجة الوداع) وبعد أن أكمل ﷺ وبيّن للمسلمين مناسك الحج ورجع ﷺ،كان من أوائل الأعمال التي قام بها في المدينة أن جهز جيش أسامة لقتال الروم أي كان الجهاد من أوائل أعماله ﷺ لمّا رجع من الحج إلى المدينة.

وقد حج أبو بكر رضي الله عنه السنة الثانية عشرة للهجرة، ولما أكمل حجه ورجع إلى المدينة، كان من أوائل أعماله أن سيّر الجيوش لقتال الفرس والروم، ثم كانت معركة اليرموك التي توفي أبو بكر رضي الله عنه خلالها.

ثم حج خالد رضي الله عنه خلال معاركه في العراق، وبعد أن أكمل نسكه عاد فأكمل جهاده.

وحج عمر السنة الرابعة عشرة للهجرة وخلال حجه استنفر المسلمين لقتال الفرس في القادسية.

وهكذا كان يصنع بعض الخلفاء الأتقياء بعد الخلفاء الراشدين، فكان بعضهم يغزو عامًا ويحج عامًا وكأن الحج والجهاد فيهما تقابل وتواصل.

هذا هو الحج في كتاب الله والجهاد في كتاب الله وفي سنة رسول الله وفي سيرة الخلفاء الراشدين ومن تبعهم من الخلفاء الصالحين، كانت زحوفهم إلى حجهم تتواصل مع زحف جيوشهم إلى قتال عدوهم، ثم ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ ﴾ مريم/آية٥٩ ففصلوا أحكام الإسلام عن بعضها فسمحوا، بقدرٍ ما، بالدعوة إلى العبادات ولكنهم اشترطوا الصمت المطبق عن الدعوة للخلافة والجهاد، ففصلوا الصلاة عن الخلافة، والذهاب للحج عن زحف الجيوش للقتال، بل بلغت بهم الجرأة على دين الله فقالوا بتعطيل الجهاد، وبالجهاد السلمي، وأخيرًا لم يستحيوا فألغوه في مؤتمراتهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون.

إنّ الإسلام كلّ لا يتجزأ، أحكامه آخذ بعضها برقاب بعض، لا تُفصل العبادات عن المعاملات، ولا الأخلاق والمطعومات والملبوسات عن الخلافة وبيعة الخليفة وتحريك جيوش المسلمين للقتال، ولا ينفصل حسن المعاملة مع الجار وبِرّ الوالدين عن السياسة الحربية والعلاقات الدولية.

هكذا في كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وسلامه، وهكذا صنع وعمل الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون بإحسان، حشرنا الله معهم في جنات النعيم في الفردوس الأعلى ورضوان من الله أكبر ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

١ البخاري: ١٤٢٣، ١٧٢٨، أحمد: ٦/١٦٥، ابن ماجه: ٢٨٩٢

وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ النساء/آية٦٩.

٢. يأمر الله سبحانه أن نقاتل في سبيل الله الذين يقاتلوننا، وهم الذين عندهم القدرة على قتالنا من الكفار المحاربين دون الذين لا قدرة لهم على قتالنا كالنساء والأطفال والشيوخ وأحبارهم ورهبانهم، فإن قاتل هؤلاء قاتلناهم. أما في الحكم العام فنحن مأمورون بقتال الأعداء القادرين على القتال كما ذكرنا.

وينهانا الله سبحانه أن نعتدي في قتالنا فلا نقتل طفلًا أو شيخًا أو امرأةً، أو نتجاوز أوامر الله في القتال كالغدر والغلول والمثلة أو قطع الشجر إلا ما اقتضته السياسة الحربية بنص شرعي.

فقد كان يقول رسول الله ﷺ للجيش الذي يرسله للقتال: "**اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تَغُلُّوا ولا تغدروا ولا تُمَثِّلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع**"[٢].

٣. ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ أي قاتلوا في سبيل الله المقاتلين من الكفار وليس فقط الذين يبدءونكم بالقتال، بل الذين عندهم المقدرة على قتالكم لأن الجهاد هو مبادأة الكفار بالقتال وليس حربًا دفاعية، بمعنى أن لا نقاتلهم إلا إذا قاتلونا.

فإن آيات الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ تبين أن الجهاد هو مبادأة الكفار بالقتال لنشر الإسلام وفتح البلاد وإعلاء كلمة الله.

- ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ التوبة/آية١٢٣.
- ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ البقرة/آية١٩٣.
- ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التوبة/آية٢٩.

وغيرها كثير... وكلّها تدلّ على مبادأة الكفار بالقتال لنشر الإسلام.

وكذلك سنة رسول الله ﷺ:

- "**اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر ...**"[٣].
- والحديث "**ادعهم إلى ثلاث خصال فأيهن أجابوك فاقبل منهم...**"[٤].

والفتح الذي تمّ في عهد رسول الله وعهد الخلفاء الراشدين شاهد على ذلك، وكله

٢ أحمد: ٤/٢٤٠، ٥/٣٥٢
٣ أحمد: ٤/٢٤٠، ٥/٣٥٢
٤ مسلم: ٣٢٦١

مبادأة للكفار بالقتال لإعلاء كلمة الله.

ويكون معنى الآية ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾:

قاتلوا في سبيل الله مُقاتِلةَ الكفار أي المقاتلين منهم ولا تعتدوا فلا تقتلوا الذين لا يقاتلونكم من النساء والولدان والشيوخ والأحبار والرهبان الذين في صوامعهم فإن قاتلوا فعندها يُقتَلون، فقد مرّ رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة فقال ﷺ: "**ما كانت هذه لتقاتل**"[٥] وأنكر قتلها، ومفهوم هذا الحديث أنها لو قاتلتْ تقتل.

ومعنى ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ﴾ أي لا تتجاوزوا أحكام الشرع في قتال العدو، فلا تفعلوا ما حرّم فعله في القتال، وليس معناه أن لا تبدءوا عدوكم بالقتال بحال من الأحوال.

ولذلك فإن قول الذين قالوا إن الآية تعني أنه في أول الإسلام كان القتال فقط إذا اعتُدِيَ على المسلمين، ثم نسخت فيما بعد بالآيات الدالة على مبادأة القتال. هذا القول مرجوح لأن النسخ لا يُعمد إليه إلا إذا وُجد التعارض من كلّ وجه، وهنا لا تعارض؛ فالآية لا تعني أن لا نبدأ الكفار بالقتال بل أن لا نعتدي بتجاوز الحدّ في قتالهم، فلا نزيد عما أجازه الشرع في قتالهم كما بينا، وليس معنى ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ﴾أي لا تبدءوا القتال بل أن لا تتجاوزوا حدود الشرع في قتالهم كالتمثيل وقتل الأطفال... إلخ، ولذلك فلا تعارض بين آيات القتال وبالتالي لا نسخ.

٤. القتال في سبيل الله هو القتال لإعلاء كلمة الله وليس لمصلحة أو سمعة أو رياء، يقول صلوات الله وسلامه عليه وقد سئل عن الرجل يقاتل سمعة ورياء.. فقال: "**سئل النبي عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**"[٦].

فالذي يقاتل رياء أو وطنية مجردة أو مصلحة دنيوية فليس في سبيل الله، ولذلك فالنية تعتبر في الجهاد وهو كالعبادات، النية شرط صحة فيه: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ آل عمران/آية١٤٢.

٥. يبين الله سبحانه في كثير من آياته وأحاديث رسوله ﷺ أمور القتال والسياسة الحربية، وفي الآية التالية ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡ ﴾ يبين الله سبحانه أمرين من أمور القتال:

أ - إنه يصح قتال الكفار المحاربين في كل مكان إلا مكانًا واحدًا استثنته الآية الكريمة

٥ أبو داوود: ٢٢٩٥، أحمد: ١٧٨/٤، ٤٨٨/٣

٦ البخاري: ١٢٠، ٢٥٩٩، مسلم: ٣٥٢٥

وهو ﴿ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ بشرط أن لا يقاتلونا فيه فإن قاتلونا فيه قاتلناهم، كما هو مبين في ما بعد.

﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ ﴾ أي في كل مكان وجدتموهم فيه لأن (حيث) ظرف للمكان.

ب - إنه يجب إخراج الكفار المحاربين من كل مكان أخرجوا المسلمين منه، ولا يصح إقرارهم على البقاء فيه، وكل اتفاق معهم لإقرارهم يعتبر باطلًا ﴿ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ ﴾.

﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ ﴾ أي حيث وجدتموهم. والثقف: الوجود على وجه الأخذ والغلبة.

﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ ﴾ أصل ﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ ﴾ في لغة العرب عَرْضُ الذهبِ على النار لتنقيته من الغش، ثم استُعمِل في معنى الابتلاء للمؤمنين بتعذيبهم، ومحاولة صرفهم عن دينهم، وصدهم عن سبيل الله، ونشر الشرك بينهم، وهي هنا كذلك فإنها بيان من الله للمؤمنين أن لا يتقاعسوا عن قتال الكفار، فهم قد حاولوا فتنتهم عن دينهم بشتى أنواع العذاب، والفتنة أشدّ من القتل، فكأنهم قتلوا المؤمنين مرارًا بمحاولة فتنتهم تلك، فلينشط المؤمنون في قتالهم دون هوادة.

٦. ويبين الله للمؤمنين أن لا يقاتلوا الكفار عند المسجد الحرام إلا إن قاتلوهم فيه ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾. قرأ حمزة والكسائي: (ولا تقتلوهم... حتى يقتلوكم... فإن قتلوكم...) أي دون ألف. وقرأ باقي القراء السبعة بالألف.

أما قراءة (ولا تقتلوهم) فهي نهي عن القتل وعن القتال، لأن القتل لا يتم دون قتال.

والقراءة الأخرى (ولا تقاتلوهم) فهي نهي عن المقاتلة سواء أحدث القتل أم لم يحدث.

فالقراءة الأولى لها معنيان (القتال، والقتل). والقراءة الثانية لها معنىً محكم واحد (القتال)، والقراءتان متواترتان، والمحكم قاضٍ على غير المحكم، فيكون النهي عن القتال سواء أحدث قتل أم لم يحدث. أي أن مجرد القتال عند المسجد الحرام (حرام)، إلا ان يبدأ الكفار بقتالنا فنقاتلهم.

أما ما حدث من حوادث قليلة من القتال عند الفتح، وقتل بعض من أهدر الرسول ﷺ دمهم لأنهم كانوا يؤذون الإسلام والمسلمين، ولم يخرجهم الرسول ﷺ ويقتلهم خارج مكة، فذلك حكم خاص بساعة من نهار أُحِلَّتْ للرسول ﷺ بنص الحديث الذي أخرجه البخاري،

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

أي أن النهي لا يشمل قتالنا للكفار إن هم بدءوا قتال المؤمنين في الحرم، فإن تركوا القتال في الحرم وأنابوا إلى الإسلام والتوبة فإن الله غفور رحيم ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ ﴾.

٧. ثم يأمر الله سبحانه المسلمين أن يقاتلوا الكفار ليُقضى على ما يسببونه من فتنة للمسلمين: الشرك والصدّ عن سبيل الله وتعذيب المؤمنين ومحاولة صرفهم عن دينهم، وكذلك حتى يكون الدين لله خالصًا. فإن انتهى الكفار عن شركهم وكفرهم وصدهم عن سبيل الله فليوقف المسلمون القتل عنهم، لأن القتل لا يكون إلا للظالمين، وما داموا قد تركوا الكفر ودخلوا في الإسلام فلم يعودوا ظالمين.

﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ أي حتى ينتهي الشرك والصدّ عن سبيل الله وتعذيب المؤمنين لصرفهم عن دينهم.

﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ ﴾ أي يصبح الدين خالصًا لله ليس فيه شرك، وهذا تُشعر به (اللامُ) الداخلةُ على (الله) سبحانه وهي تفيد الملك الخالص. ولم يذكر هنا ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ الأنفال/آية٣٩ كما في الأنفال، فتلك للكفار عمومًا ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ ﴾ الأنفال/آية٣٨-٣٩... لأن آية البقرة هذه في مشركي العرب أي في جزء من الكفار، وآية الأنفال في الكفار عامة فناسب لفظ (كُلُّهُۥ) في آية الأنفال ﴿ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ على غير وضعه في الآية هنا ﴿ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ ﴾.

﴿ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ عقوبة الظالمين هي ليست في الحقيقة عدوانًا ولكنها استعملت هنا استعمالًا مجازيًا على نحو قوله تعالى ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ الشورى/آية٤٠ وقوله سبحانه ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ البقرة/آية١٩٤ أي تسمية عقوبة السيئة بالسيئة وعقوبة المعتدي بالاعتداء.❑

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ» (فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا).

— عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَادِرُوا الْأَعْمَالَ سَبْعًا، مَا تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُقْعِدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الْمَسِيحَ فَشَرُّ مُنْتَظَرٍ، أَوِ السَّاعَةَ، ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾**».

— عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنَا النَّذِيرُ، وَالْمَوْتُ الْمُغِيرُ، وَالسَّاعَةُ الْمَوْعِدُ**»

— عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَطَبَ فَذَكَرَ السَّاعَةَ رَفَعَ صَوْتَهُ، وَاحْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «**صَبَّحَتْكُمْ أَوْ مَسَّتْكُمْ**» ، وَيَقُولُ: «**بُعِثْتُ أَنَا مِنَ السَّاعَةِ كَهَاتَيْنِ، يَقْرُنُ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ**».

— عَنْ أَبِي جَبِيرَةَ بْنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ**» سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ: «فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا».

— عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: «مَا زَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْأَلُ عَنِ السَّاعَةِ حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤﴾ [النازعات: ٤٤] فَلَمْ يُسْأَلْ بَعْدَ ذَلِكَ».

— عن ابْنِ عُمَرَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ رَأْيَ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ**».

— عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَقَدْ تَفَاوَتَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي السَّيْرِ، فَرَفَعَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ صَوْتَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾ [الحج: ٢] حَتَّى بَلَغَ الْآيَتَيْنِ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ حَثُّوا الْمَطِيَّ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ عِنْدَ قَوْلٍ يَقُولُهُ، فَلَمَّا تَاشَبُوا حَوْلَهُ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَاكَ؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «**ذَاكَ يَوْمَ يُنَادَى آدَمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُنَادِيهِ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ: يَا آدَمُ، ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ**»، فَأَبْلَسَ أَصْحَابُهُ حَتَّى مَا أَوْضَحُوا بِضَاحِكَةٍ، فَلَمَّا رَأَى ذَاكَ قَالَ: «**اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ إِلَّا كَثَّرَتَاهُ، يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَمَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَمِنْ بَنِي إِبْلِيسَ**» ، قَالَ: فَسُرِّيَ عَنْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «**اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ، وَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ**»

— عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى رَجُلَيْنِ مَعَهُمَا ثَوْبٌ يَبِيعَانِهِ، فَلَا هُمَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَا هُمَا يَنْشُرَانِهِ**».

— عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تَطْلُعُ قَبْلَ السَّاعَةِ عَلَيْكُمْ سَحَابَةٌ سَوْدَاءُ مِثْلُ التُّرْسِ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، فَمَا تَزَالُ تَرْتَفِعُ حَتَّى تَمْلَأَ السَّمَاءَ، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ قَدْ أَتَى، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَنْشُرَانِ الثَّوْبَ فَمَا يَطْوِيَانِهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَلُوطُ حَوْضَهُ فَمَا يَشْرَبُ، وَالرَّجُلُ لَيَحْلُبُ لِقْحَتَهُ فَمَا يَشْرَبُ مِنْهَا شَيْئًا**».

كَمَا تَتَفَاضَلُ الأَشْجَارُ بِالأَثْمَارِ، كَذَلِكَ يَتَفَاضَلُ النَّاسُ بِالعُقُولِ

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﴿قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ قَالَ: «الرَّجُلُ ذُو النُّهَى وَالْعَقْلِ».
- عَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ قَالَ: «الْأَيْدِي: الْقُوَّةُ، وَالْأَبْصَارُ: الْعَقْلُ».
- عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَذُكِرَ الْحَسَبُ فَقَالَ: «حَسَبُ الْمَرْءِ دِينُهُ، وَأَصْلُهُ عَقْلُهُ، وَمُرُوءَتُهُ خُلُقُهُ».
- عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: «مَا أُوتِيَ رَجُلٌ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنَ الْعَقْلِ».
- عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: «أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الْعِبَادُ فِي الدُّنْيَا الْعَقْلُ، وَأَفْضَلُ مَا أُعْطُوا فِي الْآخِرَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».
- عن عِمْرَانُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ: «مَا يَتِمُّ دِينُ الرَّجُلِ حَتَّى يَتِمَّ عَقْلُهُ».
- عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: «مَا عُبِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ»
- عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: «كَمَا تَتَفَاضَلُ الشَّجَرُ بِالْأَثْمَارِ، كَذَلِكَ تَتَفَاضَلُ النَّاسُ بِالْعَقْلِ»
- قَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ: «إِذَا عَقَّلَكَ عَقْلُكَ عَمَّا لَا يَنْبَغِي فَأَنْتَ عَاقِلٌ» قَالَ عَلِيٌّ: وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْعَقْلُ عَقْلًا مِنْ عِقَالِ الْإِبِلِ».
- سُئِلَ بَعْضُ الْعَرَبِ عَنِ الْعَقْلِ، فَقَالَ: «لُبٌّ أَعْنَتَهُ بِتَجْرِيبٍ».
- عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: «لَا تَنْظُرُوا إِلَى عَقْلِ الرَّجُلِ فِي كَلَامِهِ، وَلَكِنِ انْظُرُوا إِلَى عَقْلِهِ فِي مَخَارِجِ أُمُورِهِ».
- عن وَكِيعَ بْنَ الْجَرَّاحِ، يَقُولُ: «الْعَاقِلُ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَهُ، وَلَيْسَ مَنْ عَقَلَ تَدْبِيرَ دُنْيَاهُ».
- عن صَالِحَ بْنَ عَبْدِ الْكَرِيمِ، يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَل رَأْسَ أُمُورِ الْعِبَادِ الْعَقْلَ، وَدَلِيلَهُمُ الْعِلْمَ، وَسَائِقَهُمُ الْعَمَلَ، وَمُقَوِّيَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الصَّبْرَ».
- كَانَ الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ: «لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَعْتَقِدَ مِنْ رَأْيِهِ مَا لَمْ يُقَايِسْ بِهِ أُولِي الْأَلْبَابِ مِنْ إِخْوَانِهِ». وَكَانَ يُقَالُ: «لَا يُدْرَكُ اسْتِعْمَالُ مَعْرِفَةِ الشَّيْءِ بِالْعَقْلِ الْوَاحِدِ». قَالَ: وَكَانَ يُقَالُ: «اجْتِمَاعُ عَقْلَيْنِ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ أَنْجَعُ فِيهِ مِنَ الْوَاحِدِ».
- عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: «اجْتِمَاعُ آرَاءِ الْجَمَاعَةِ وَعُقُولِهَا مَبْرَمَةٌ لِصِعَابِ الْأُمُورِ».

رَوِّحُوا القُلُوبَ سَاعَةً وَسَاعَةً

- عن الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا أَعْبَدَ فُلَانًا وَأَوْرَعَهُ وَأَقْرَأَهُ قَالَ: «كَيْفَ عَقْلُهُ؟»، قَالَ: قُلْنَا نَذْكُرُ لَكَ عِبَادَتَهُ وَوَرَعَهُ وَقِرَاءَتَهُ وَتَقُولُ: عَقْلُهُ، قَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّ الْأَحْمَقَ يُصِيبُ بِحُمْقِهِ مَا لَا يُصِيبُ الْفَاجِرُ بِفُجُورِهِ».

- عن أَبِي أُمَامَةَ، يَقُولُ: «اعْقِلُوا فَلَا إِخَالُ الْعَقْلَ إِلَّا قَدْ رَفَعَ».

- قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْرِفُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ الَّذِي يَعْرِفُ الْخَيْرَ فَيَتَّبِعُهُ، وَيَعْرِفُ الشَّرَّ فَيَتَجَنَّبُهُ».

- عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «لَيْسَ الرَّجُلُ الَّذِي إِذَا وَقَعَ فِي الْأَمْرِ تَخَلَّصَ مِنْهُ، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ يَتَوَقَّى الْأُمُورَ حَتَّى لَا يَقَعَ فِيهَا».

- سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: «لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ بِلَا عَقْلٍ، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ: مَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلُ حَلِيمٍ».

- قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ عَاقِلٌ وَالنَّاسُ حَمْقَى كَمُلَ جَهْلُهُ».

- عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَقْلٌ يَسُوسُهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِكَثْرَةِ رِوَايَاتِ الرِّجَالِ».

- عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ، مُؤَذِّنِ الْبَرَاجِمِ قَالَ: كُنَّا نُجَالِسُ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْمَعْ عَلَى الْهُدَى أَمْرَنَا، وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا، وَاجْعَلِ الْجَنَّةَ مَآبَنَا، وَارْزُقْنَا شُكْرًا يُرْضِيكَ عَنَّا، وَوَرَعًا يَحْجُزُنَا عَنْ مَعَاصِيكَ، وَخُلُقًا نَعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ، وَعَقْلًا تَنْفَعُنَا بِهِ» . فَكَانَ إِذَا ذَكَرَ الْعَقْلَ يَأْخُذُنِي مِنْهُ الضَّحِكُ، فَقَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ: «يَا أَبَا إِسْمَاعِيلَ، لِأَيِّ شَيْءٍ تَضْحَكُ؟ إِنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ عِنْدَهُ كَذَا وَيَكُونُ عِنْدَهُ كَذَا فَلَا يَكُونُ لَهُ عَقْلٌ فَلَا يَكُونُ لَهُ شَيْءٌ».

- عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: «قُسِّمَ الْعَقْلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ فَمَنْ كُنَّ فِيهِ كَمُلَ عَقْلُهُ: حُسْنُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، وَحُسْنُ الطَّاعَةِ لَهُ، وَحُسْنُ الصَّبْرِ عَلَى أَمْرِهِ».

- عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: «قِوَامُ الْمَرْءِ عَقْلُهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ».

- وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِأَخٍ لَهُ: «يَا أَخِي، عَقْلُكَ لَا يَتَّسِعُ لِكُلِّ شَيْءٍ؛ فَفَرِّغْهُ لِأَوَّلِ الْمُهِمِّ مِنْ أَمْرِكَ. وَكَرَامَتُكَ لَا تَسَعُ النَّاسَ؛ فَخُصَّ بِهَا أَوْلَى النَّاسِ بِكَ. وَلَيْلُكَ وَنَهَارُكَ لَا يَسْتَوْعِبَانِ حَوَائِجَكَ؛ فَأَسْقِطْ عَنْكَ مَا لَكَ مِنْهُ بُدٌّ. وَلَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ أَنْ تَذَرَ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَابُدَّ مِنْهُ، وَلَا تَمْدَحْ مَنْ لَمْ تُخْبَرْ إِحْسَانُهُ».

- وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَا الْعَقْلُ؟، قَالَ: «أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا صِحَّةُ الْفِكْرِ فِي الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ، وَالْآخَرُ حُسْنُ التَّمْيِيزِ وَكَثْرَةُ الْإِصَابَةِ».

- قَالَ حَفْصُ بْنُ حُمَيْدٍ: «مِنْ وَرَعِ الرَّجُلِ أَلَّا يَخْدَعَ، وَمِنْ عَقْلِهِ أَلَّا يُخْدَعَ».

- كان عبد الْعَزِيز بن أبان يَقُول عَن بعض أهل الْعلم: «كَلَام الْعَاقِل وَإِن كَانَ يَسِيرًا عَظِيم».❑

إعلان انهيار الحضارة الغربية رهن بإعلان النموذج الإسلامي بديلًا

ما من شك بأن دول الغرب الكبرى في أميركا وأوروبا هي التي تتحكم بشؤون العالم اليوم، تشاركهم روسيا نصيبًا في ذلك خارج نطاقها الإقليمي بقدر ما تسمح به لها هذه الدول في مناطق نفوذ كل منها. لكن هذا التحكم يستند إلى منطق القوة العارية، أما منطق الفكر الذي ينشد بناء الإنسان فقد تهاوى تمامًا؛ حيث ثبت زيف الحضارة الغربية المريضة بداء الاستعمار والاستعباد وانتهاك أساسيات معايير حقوق الإنسان التي تزعم تلك الدول تقديسها، فيما هي تقدس مصالحها فقط لا غير.

لقد مارست هذه الدول جرائمها بحق الإنسانية منذ أن بزغ نجمها، وازدادت شراسة ووحشية مع تبنيها الفكر النفعي الذي يفصل الحياة عن تشريعات الخالق سبحانه، وبالتالي إعلاء القيمة المادية على حساب القيم الروحية والأخلاقية والإنسانية. فارتكبت بسبب ذلك سلسلة متلاحقة من الفظائع، أدت إلى قتل وتشريد شعوب بأكملها، من غير أن يتردد ساسة الغرب لحظة أو يرفَّ لهم جفن.

والتاريخ كما هو الواقع الراهن شاهد على ذلك. حيث لن يتمكن أحد من أن يمحو من ذاكرة البشرية إبادة الهنود الحمر ليستعمر الرجل الأبيض بلادهم. ولن يتمكن أحد من تجاوز معاناة الأفارقة الذين ساقهم تجار النخاسة عبيدًا كالخراف إلى أميركا، يسومونهم سوء العذاب من أجل خدمتهم. وليس بعيدًا عنا مقتل عشرات الملايين في حربين عالميتين من أجل الهيمنة والسيطرة والاستئثار. كما تعاملت تلك الدول بحقارة قل نظيرها مع مجازر بورندا ورواندا التي قضى فيها ملايين على أعين قوات هذه الدول ورعايتها. من ثم تلاحقت المشاريع التدميرية لبلاد المسلمين التي تم توثيق استباحتها بشكل وحشي بشع بالصوت والصورة، في فلسطين والشيشان والبوسنة وأفغانستان والعراق وبورما واليوم في سوريا، حيث تمطر السماء براميل متفجرة على مدن وبلدات ليل نهار، فتقتل وتبيد الأطفال والشيوخ والنساء من غير رقيب ولا حسيب.

وما يزيد الطين بلة نفاق دول الغرب التي تدعي نشر الديمقراطية بينما تقوم بدعم وتأييد أنظمة القهر والاستبداد على مدار عقود طويلة في بلاد المسلمين، بل تعتبرها حليفًا استراتيجيًا لها، فيما هي عدوة لحقوق الإنسان بحسب معايير الغرب المزعومة، كحال الأنظمة الحاكمة في السعودية وتونس ومصر والعراق مثلًا.

لقد فشلت هذه الدول منفردة ومجتمعة في وضع نظام عالمي مستقر يؤمن الحاجات الأساسية ليعيش الإنسان بكرامة وأمن وكفاية في هذا العالم. ويرجع ذلك إلى طبيعة الفكر الرأسمالي الذي يتحكم بها، حيث يلهث كل منها وراء منفعته الخاصة، محاولًا الاستئثار بخيرات الدول المستضعفة بنهم لا حدود له، من غير أن يتحمل أدنى قدر من المسؤولية الأخلاقية أو الإنسانية التي يدعيها. والتي لم يتبقَّ منها على ما يبدو سوى «حقوق» الشواذ جنسيًا إضافة إلى «حق» انتقاص الإسلام والنيل من مقدساته!

هنا يكمن الفرق بين الدول الرأسمالية التي تسعى لاستعمار العالم واستعباد أهله وبين دولة الإسلام التي تجعل من أمة الإسلام صاحبة رسالة، تضحي بالغالي والنفيس من أجل نشره وتطبيقه وتحقيق الطمأنينة والاستقرار للبشرية؛ لذلك كله، كان لا بد من إبراز الإسلام على حقيقته كنظام حياة متكامل ينبثق عن عقيدة يقينية صحيحة، تحمل الخير للبشر، وتبث بينهم الرحمة والسكينة والطمأنينة. كذلك لا بد من الاستمرار في تسليط الضوء على حضارة الغرب الزائفة وعقيدته النفعية التافهة وممارساته المشؤومة لفضحه وتنفير البشرية منه. لكن نجاح هذا بالشكل المطلوب لن يتأتَّى البتة ما لم يجسد المسلمون عقيدتهم وشريعتهم في دولة إسلامية جامعة هي دولة الخلافة، التي تمثل عمليًا جوهر المطلوب لتقديم نموذج عملي يمثل البديل لحضارة الغرب البالية.❑

كاتب أميركي: لا بد من تقسيم سوريا والإصرار على وحدتها يعني الإبادة

نشرت صحيفة «وول ستريت جورنال» مقالًا للكاتب بريت ستيفنز، يقترح فيه تقسيم سوريا، معتبرًا أن «١٧ مبادرة لحل مشكلة الحرب الأهلية في سوريا لم تسفر إلا عن المزيد من القتل والتشريد، حيث فشلت مبادرة كوفي عنان ٢٠١٢م، وخطة الأخضر الإبراهيمي بعد ذلك بعام، وجنيف الأولى والثانية والثالثة، بالإضافة إلى عملية فيينا».

واعتبر ستيفنز أن «محادثات الهدنة الإنسانية في حلب ليست إلا إعلانًا فارغًا، كإعلان عام ٢٠١١م، الذي طالب بضرورة رحيل رئيس النظام السوري بشار الأسد، وكضرورة الالتزام بالخط الأحمر حول استخدام السلاح الكيماوي عام ٢٠١٢»

ويشير الكاتب إلى أن «الرئيس أوباما لم يتبقَّ له سوى ١٣٦ يومًا في البيت الأبيض، وسيغادره تاركًا الإدارة المقبلة لتصمم سياستها الخاصة بسوريا، وعلى الأخيرة أن ترفض (المبدأ الأساسي)، الذي أعلن عنه وزير الخارجية جون كيري ونظيره الروسي سيرغي لافروف العام الماضي، والداعي إلى الحفاظ على وحدة سوريا.

ويرى ستيفنز أن «طبيعة الحرب السورية تحتم ذلك، فهي لعبة، إما أن تكون قاتلًا أو مقتولًا، فإما أن ينتصر الأسد أو معارضوه، وهي حرب معقدة تشارك فيها أربعة أطراف؛ روسيا، وإيران، وتركيا، والولايات المتحدة، إلى جانب خمسة من اللاعبين غير الدول، بالإضافة إلى نظام الأسد نفسه، معتبرًا أن الحرب في جذورها هي لعبة قائمة على مبدأ الحسم، وبسبب عدم وجود حكومة تقبل بسيادة منقوصة، فإن الأطراف المتحاربة ستظل في حالة حرب طويلة إن أريد الحفاظ على سوريا موحدة، وبالتالي فإن وحدة البلاد تعني الإبادة».

ويذكّر الكاتب بفرضيات الإدارة الأميركية، مشيرًا إلى أنه كان من «السذاجة» التكهن بانهيار نظام الأسد، ذي القاعدة العلوية، بالطريقة ذاتها التي انهار فيها نظام معمر القذافي في ليبيا، ويقول إن «وحشية قوات الأسد هي تعبير عن مخاوف أفرادها مما سيحدث لهم، فكلما كانوا قساة أصبحوا أكثر وحشية، ومن هنا فإن اللعبة السورية هي إما أن تعيش أو أن تموت».

ويرى ستيفنز أن «خيار التقسيم هو الخيار الأفضل، وإن كان لن يحل مشكلاتها بالكامل، إلا أنه سيعمل على تخفيضها إلى مستوى يمكن من خلاله السيطرة عليها، فوجود دويلة علوية على شاطئ البحر المتوسط في المستقبل قد يؤدي إلى نجاة حكم عائلة الأسد واستمرارها، وستكون دولة كردية مرتبطة بكردستان العراق منطقة إثنية آمنة، خاصة لو حصلت على ضمانات أمنية من روسيا، وستكون ملجأ للمدنيين لو توفرت لها الحماية الأميركية، إلا أن تركيا تنظر إلى هذا الحل بصفته تهديدا لها».

ويلفت الكاتب إلى التحفظات حول نقطة تتعلق بالتقسيم، منها ما يتعلق بقبول أنقرة كيانًا كرديًا في سوريا، مشيرًا إلى أن أنقرة قبلت بوجوده في شمال العراق، بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة يمكن أن تؤدي دورًا في دفع أكراد سوريا إلى قطع صلاتهم بحزب العمال الكردستاني «بي كا كا»، وذلك من أجل تخفيف مظاهر القلق التركي.

ويذكّر ستيفنز بأزمة مشابهة للحالة السورية، لافتًا إلى أنه في التسعينات من القرن الماضي، واجه العالم رعبًا في البلقان، وقررت الولايات المتحدة التحرك عسكريًا، وتوصلت من خلال قوى محلية وكيلة إلى نتائج سياسية، وما كان يطلق عليها يوغسلافيا أصبحت اليوم سبع دول مختلفة.

الوعي: في ظل غياب خلافة إسلامية حقة، سيبقى المسلمون كالأيتام على مآدب اللئام، يقطع الأعداء أوصالهم وهم ينظرون مشدوهين، فمتى يدرك المسلمون أن أول خطوة في الاتجاه الصحيح هو بناء الخلافة، تاج الفروض، والحصن المنيع للحفاظ على الإسلام وأهله وبلاده!❑